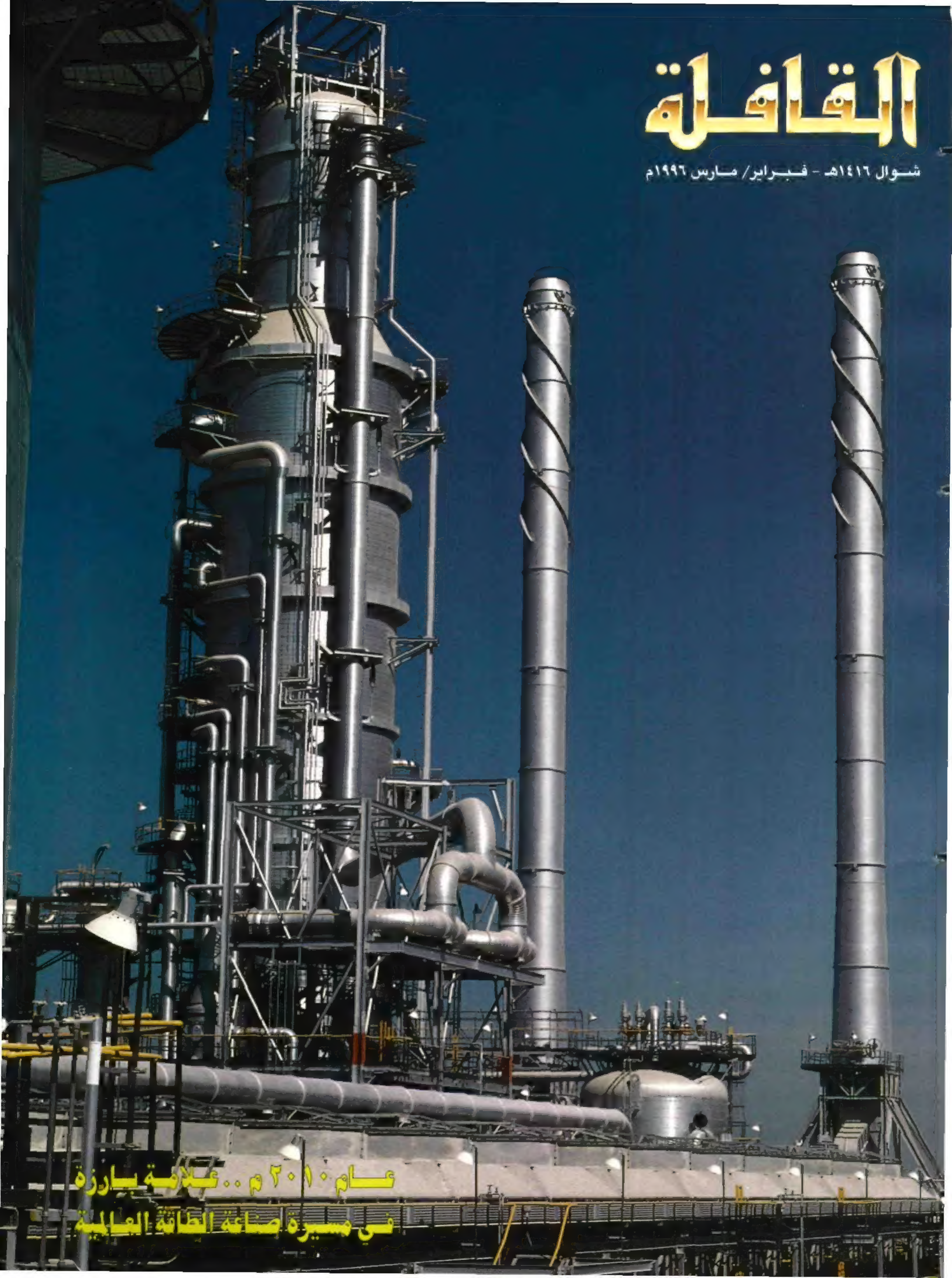

القافلة
شوال ١٤١٦هـ - فبراير/ مارس ١٩٩٦م
عام ٢٠١٠ م .. علامة بارزة
في مسيرة صناعة الطاقة العالمية

بسم الله الرحمن الرحيم

القافلة
AL - QAFILAH

العدد العاشر - المجلد الرابع والاربعون

شوال ١٤١٦ هـ — ردمد ISSN 1319 - 0547 — February - March 1996

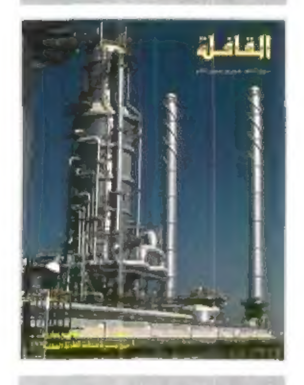
في هذا العدد

- جميع المراسلات باسم رئيس التحرير.
- كل ما ينشر في القافلة يعبر عن آراء الكتاب أنفسهم ولايعبر بالضرورة عن رأي القافلة أو عن اتجاهها.
- لا يجوز نشر الموضوعات والصور التي تظهر في القافلة إلا بإذن خطي من هيئة التحرير.
- لا تقبل القافلة إلا أصول الموضوعات التي لم يسبق نشرها.

العنوان

أرامكو السعودية
صندوق البريد رقم ١٣٨٩
الظهران ٣١٣١١
المملكة العربية السعودية
هاتف : ٨٧٥٦٣٩٢ - ٨٧٤٠٧٠٦
فاكس : ٨٧٣٣٣٣٦

الغلاف



تصوير : أرامكو السعودية

مجلة ثقافية تصدر شهرياً عن إدارة العلاقات العامة في شركة أرامكو السعودية لموظفيها . توزع مجاناً

تصميم وطباعة مطابع التريكي - الدمام
Designed and Printed by Altraiki Printing Press, Dammam

عيد مبارك

إنه لمن دواعي غبطتي وسروري أن أنتهز فرصة حلول عيد الفطر المبارك لأقدم لإخواني موظفي الشركة أحر التهاني وأسمى الأماني بهذه المناسبة الكريمة أعادها الله على الجميع بالخير واليمن والبركات.

عبد الله صالح جمعة
رئيس الشركة وكبير الإداريين التنفيذيين

كل عام وأنتم بخير

يستقبل المسلمون هذه الأيام عيد الفطر المبارك بالبهجة والسرور. ويسر هيئة التحرير أن تغتنم هذه المناسبة الكريمة لترفع إلى مقام خادم الحرمين الشريفين وولي عهده الأمين وإلى القراء الكرام وإلى المسلمين كافة أخلص التهاني وأطيب التمنيات ضارعة إلى العلي القدير أن يعيده عليهم باليمن والبركات، رافلين في أثواب السعادة والرخاء.

هيئة التحرير

عام ٢٠١٠م .. علامة بارزة في مسيرة صناعة الطاقة العالمية*



د. سداد إبراهيم الحسيني

الإعداد للمستقبل هو واحد من أصعب المهام التي تواجهها أية شركة حديثة، ولكنه في نفس الوقت ممارسة قد تكشف جانباً كبيراً من القضايا الحالية وتلك التي ما زالت مخبوءة في رحم المستقبل، وقد جرى تأكيد هذه الفكرة أمام نخبة من الحاضرين في مؤتمر ومعرض الشرق الأوسط التاسع للنفط الذي عقد في البحرين في ربيع العام الماضي.

* ملخص ورقة عمل أعدّها د. سداد إبراهيم الحسيني، نائب الرئيس التنفيذي للتنقيب والإنتاج في أرامكو السعودية.

تناول الدكتور سداد إبراهيم الحسيني، نائب الرئيس التنفيذي لأعمال التنقيب والإنتاج، بشركة الزيت العربية السعودية (أرامكو السعودية) في كلمته التي القاها في المؤتمر موضوع اقتصاديات النفط والغاز على المدى الطويل، مستخدماً عام ٢٠١٠م موعداً للتوقعات المستقبلية لما يمكن أن تصبح عليه أوضاع صناعة النفط والغاز، بعد خمسة عشر عاماً من الآن.

بدأ الدكتور سداد الحسيني كلمته متسائلاً : «لماذا يجب علينا النظر إلى المستقبل البعيد؟» وفي إجابته على هذا التساؤل أكد، أن النظر إلى المستقبل بعين فاحصة أمر مهم لعدة أسباب، أولها أنه يساعدنا على فهم وإدراك الحاضر بشكل أفضل فكلما كانت نظرتنا للمستقبل أبعد وأعمق، كانت قدرتنا أفضل على التركيز على العوامل الثابتة والفاعلة التي تسيّر الحاضر. وثانيها : أن الحقائق الآنية التي تشمل الأوضاع الاقتصادية والعلاقات المتداخلة بين الحكومات والشركات والرأي العام، تبرز كعامل يجعل التوقعات الطويلة المدى أكثر غموضاً وتظهر الصناعة النفطية وكأنها غير قابلة للتغيير من الناحية العملية، ولهذا وجب النظر بعيداً في المستقبل لاستشراف التوجهات الرئيسة، التي تحجبها عادة تعقيدات الظروف الحاضرة.

وأخيراً، فإن التغيير يستلزم مرور وقت طويل لحدوثه ووقتاً مماثلاً لكي نستعد له، ولذلك فنحن نحتاج بالفعل لطرح توقعات مستقبلية مدروسة لكي نستطيع التخطيط للمستقبل بشكل جيد».

وبالرغم من المخاطر التي تكتنف عملية التوقع هذه وقراءة الاحتمالات القادمة، فإن تصور المستقبل بهذه الطريقة يمكن أن يكون أكثر من مجرد تخمين بارع، فالاتجاهات الحالية الرئيسة يمكن تحديدها واستخدامها لرسم الأطار الذي سوف تتحرك ضمنه الأحداث المستقبلية. وفي هذا الصدد قال الدكتور سداد الحسيني «أعتقد أن هناك توجهين مهمين سيميّزان صناعة النفط والغاز خلال السنوات العشر الأول من القرن القادم، وهما، تخصيص نفقات مالية ضخمة لتطوير موارد النفط والغاز في المناطق النائية، وتزايد أهمية الغاز بالنسبة للوقود ولجميع الاستعمالات». وكلا الاتجاهين يمثلان



الناقلة «كافندش» كانت أول سفينة تحمل شحنة من «البروبان والبوتان» من فرضة تصدير سوائل الغاز الطبيعي في ينبع

تغييرات عالمية ذات آثار اقتصادية شاملة على المصافي والمعامل البتروكيميائية والصناعات الأنشائية.

وسيلعب الطلب المتزايد على النفط والغاز الطبيعي دوراً مهماً على وجه الخصوص. إذ يتوقع أن يصل الاستهلاك العالمي من الزيت بحلول عام ٢٠١٠م إلى ٨٥ مليون برميل يومياً، أي بزيادة قدرها ٣٠٪ على الاستهلاك الحالي، كما يتوقع أن يزداد الطلب أيضاً على الغاز الطبيعي. حيث تشير إحدى الدراسات إلى أن الطلب على استهلاك الغاز الطبيعي المسال، سوف يتضاعف في الشرق الأقصى بمقدار ثلاث مرات من ٤٦ بليون طن سنوياً عام ١٩٩٣م إلى ١٢٠ بليون طن عام ٢٠١٠م.

والسؤال الذي يطرح نفسه هو، من أين ستأتي إمدادات الزيت والغاز الجديدة؟ وإجابة على هذا السؤال بدأ الدكتور سداد الحسيني يذكر المصادر المعروفة كمنطقة الخليج العربي، وشمال إفريقيا، والمكسيك، وفنزويلا، والدول المنتجة الأخرى، ولكن هذه المناطق قد لايمكنها بمفردها إشباع نهم العالم المتزايد إلى الطاقة، ومن المصادر البديلة المطروحة، المناطق المنتجة في بحر الشمال والاسكا. غير أن الدكتور سداد الحسيني أشار إلى أن الحاجة ستتطلب وجود منتجين جدد، وفي هذا الجانب قال « يتبادر إلى الذهن مناطق العالم النائية، التي

يشار إليها دائماً «بالمناطق الجديدة» .. وتشمل على سبيل المثال شبه جزيرة «يامال» في المنطقة القطبية السيبيرية، وجزيرة «سخالين» في الشمال الغربي من المحيط الهادي، ومنطقة بحر قزوين التي تحيط بها اليابسة في آسيا الوسطى، وحوض «تاريم» في الصين.

تمتلك هذه المناطق الجديدة امكانات هائلة، ولكن تكمن وراءها أيضاً تحديات معقدة، تتطلب استثمارات مالية كبيرة، وعلى سبيل المثال بيّن الدكتور الحسيني، كيف أن دولة من آسيا الوسطى، كانت قد خططت لزيادة صادراتها بنحو بليوني قدم مكعب من الغاز يومياً، ولكي تحقق ذلك كان عليها أن تأخذ بعين الاعتبار تكاليف انشاء البنية الأساسية الضرورية من مرافق لتوليد الطاقة والضخ، وشبكة للسكة الحديدية، ومرافق مساندة أخرى، بالإضافة إلى شبكة متكاملة من خطوط الأنابيب لتصدير الغاز.

وأضاف الدكتور الحسيني قائلاً «لكي تنجز هذه الدولة برنامجها فللشخص أن يتصور أنها تحتاج إلى مجهودات انشائية هائلة تزيد في مجموع تكلفتها على ٥٦ بليون ريال (١٥ بليون دولار)، ومما يجدر ذكره أن تكلفة البنية الأساسية لهذا البرنامج تفوق تكلفة معامل إنتاج الغاز بعدة مرات. وإذا قارنا كلفة إنتاج البرميل الواحد من النفط بما يعادله من هذه الكمية المضافة من الغاز، يتضح أن كلفة إنتاج هذه الزيادة من الغاز، تساوي عشرة أضعاف تكلفة الزيادة في إنتاج النفط بمنطقة الخليج العربي».

ورغم هذه التكاليف الباهظة البادية للعيان، إلا أن الشركات الكبرى مستمرة في بحثها عن «مناطق نائية جديدة»، كتلك التي مرّ ذكرها، وذلك لأنه ليس أمام هذه الشركات من خيار آخر غير طرق هذا الباب. وأوضح الدكتور الحسيني، هذه النقطة قائلاً «بعد ثلاثة عقود تقريباً من الاستهلاك المستمر أي بحلول عام ٢٠١٠م، سوف تُستنفد معظم الإحتياطات العالمية من النفط والغاز، وعندها سيكون البحث عن البدائل واسعاً وبعيد المدى إلى أقصى الحدود».

أما الاتجاه الرئيس الثاني الذي استعرضه الدكتور الحسيني فيما يتعلق بعام ٢٠١٠م، فهو الدور المتنامي للغاز في مجال الطاقة، فقد كان من الناحية التاريخية، منتجاً ثانوياً لصناعة النفط، منخفض القيمة، يجري إحراقه بانتظام أو تغذيته لمعامل الطاقة الكهربائية المحلية. وقد ساهمت ثلاثة عوامل في تغيير هذا الوضع، وهي على التوالي :

- السياسات الحكومية التي عملت على تشجيع مشروعات المحافظة على الغاز.
- الزيادة المتسارعة في أسعار الطاقة خاصة خلال السبعينات من القرن الحالي.
- المزايا البيئية المحلية المتأتية من استخدام الغاز، التي برزت بشكل واضح في الثمانينات.

من جهة أخرى ساعدت عمليات إستيراد الغاز الطبيعي المسال، في تعزيز دوره المهم في تلبية الحاجات اليومية من الطاقة، ومن جانب آخر ساهمت التطورات التقانية والاستثمارات في البنية الأساسية لمعالجة الغاز،



وجميع التحسينات الشاملة التي طالت إقتصاديات انتاجه، في دفعه ليتبوأ مكان الصدارة في أسواق الطاقة الدولية، ومن المؤمل أن يتعزز هذا الاتجاه أكثر فأكثر في المستقبل. ولتوضيح الصورة بالأرقام، قال الدكتور سداد الحسيني أن انتاج العالم من الغاز بلغ في نهاية عام ١٩٩٣م، ٢٠٣ بلايين قدم مكعب يومياً، بزيادة قدرها ٤٢٪ بالمقارنة مع حجم الأنتاج قبل عشر سنوات، في حين ارتفع انتاج النفط بمقدار ثلث هذا المعدل خلال نفس الفترة. ومن المتوقع أن يرتفع الاستهلاك العالمي من الغاز خلال السنوات العديدة القادمة، بمعدل يتراوح ما بين ٢.٥٪ إلى ٣٪ سنوياً، مقارنة مع النفط الذي يتوقع أن يرتفع الطلب عليه بمعدل ١٪ إلى ١.٥٪ سنوياً. ولكن رغم هذا النمو المتوقع، إلا أن صناعة الغاز تواجه عدداً من العوامل المقيدة، مثل التكاليف الرأسمالية الباهظة لانتاج

منظر لمعمل الغاز في شدقم بالمنطقة الشرقية، وهو من أكبر الأجزاء في شبكة الغاز الرئيسة. والمعمل مصمم لمعالجة بليون ونصف بليون قدم مكعب من الغازات يومياً





ناقلة تحمل شحنة من غاز البترول المسال من فرضة التصدير في راس تنورة

الغاز الطبيعي المسال. وقد ذكرت بعض التقارير، أنه يلزم صرف ما يزيد على ١١ بليون ريال (٣ بلايين دولار) لانتاج مليون طن من الغاز الطبيعي المسال سنوياً لمنطقة الشرق الأقصى وتشمل هذه النفقات عملية إعادة الغاز المسال إلى طبيعته الغازية.

وهذا يساوي ما بين ثلاثة إلى أربعة أضعاف التكاليف المترتبة على إضافة زيادة مماثلة من النفط الخام في منطقة الخليج، على أساس حسابات الوحدات الحرارية البريطانية (BTU).

ومن جانب آخر، إسترعت انتباه الحاضرين موضوعات أخرى في صناعة الغاز، بجانب القدرة الأنتاجية والتكاليف، منها التوزيع الجغرافي لمواقع احتياطات الغاز، وهو أمر يؤثر بشكل كبير على انتعاش صناعة الغاز اقتصادياً. فبالرغم من أن احتياطات الغاز العالمية تزيد على ٥٠٠٠ ترليون قدم مربع، أي ما يساوي أكثر من ٩٠٠ بليون برميل من النفط، فإن نسبة ٤٠٪ منها تقريباً تقع في (المناطق الجديدة)، ونسبة ٢٠٪ منها تقع في منطقة الخليج العربي، حيث يحبذ المنطق الاقتصادي، الأستثمار لتطوير مصادر النفط.

ومما لاشك فيه أن العوامل المكانية والطبوغرافية، سوف تؤثر في عمليات استغلال الغاز، ومع ذلك سيحظى بالاهتمام المركّز.

ولكن ما هو الدور المستقبلي الذي سيلعبه الغاز؟ أن

التركيز الرئيس لنمو صناعة الغاز، ينصب حالياً على توليد الطاقة الكهربائية النظيفة، للمراكز الحضرية والسكانية. وإذا صرفنا النظر قليلاً عن استخدامه في تشغيل بعض مرافق الخدمات، فإنه يشكل تحدّياً لوقود وسائل المواصلات السائل، شأنه في ذلك شأن الطاقة الكهربائية، ومن المعتقد أن تهيمن المواصلات العامة التي تعمل بالكهرباء، خلال السنوات الخمس عشرة القادمة، على حركة النقل في المراكز الحضرية الكبرى فشبكات القطارات داخل المدن بديل مغر ومقبول لطرق السيارات السريعة والطائرات، وربما تعمد القوانين الخاصة بتنظيم وتقسيم المناطق الحضرية، إلى تفضيل استخدام السيارات الكهربائية ضمن حدود المدن.

منظر ليلي لمعمل الغاز في البري، الذي صمم مبدئيا ليكون مركزا للتجميع والضغط لمعالجة الغاز المنتج تحت ضغط عال من حقل الزيت في البري

وإجمالاً .. فإن الصناعة النفطية لايمكنها تجاهل هذه التطورات ولكن توقيت هذا التحول يعتمد – بعد الله سبحانه وتعالى – على العوامل الاقتصادية، وكمثال على ذلك، نأخذ التحول الذي أخذ يشق طريقه في أوروبا، حيث يمكن مقارنة التكلفة السعرية لكل من النفط والغاز الطبيعي على أساس حسابات الوحدات الحرارية البريطانية، فمثلاً، تبلغ تكلفة الغاز الطبيعي المسال، الذي تستورده دول الشرق الأقصى من منطقة الخليج العربي، حوالي ١٤ ريالاً (٦٠. ٣ دولاراً) لكل مليون وحدة حرارية بريطانية، أي بزيادة حوالي ٤ ريالات (دولار واحد) على سعر النفط.

وخلاصة القول أنه يجب على الصناعة النفطية مواصلة جهودها للسيطرة على التكاليف، لكي تتمكن من تجنب مزاحمة الغاز للنفط في أسواق العالم.

واختتم الدكتور الحسيني، كلمته بطرح السؤال التالي:

ما هو أثر كل تلك التغيرات على صناعة النفط في عام ٢٠١٠م ؟

ثم أجاب على سؤاله قائلاً : «أعتقد أن الاستنتاجات التالية تبدو مؤكدة إلى حد ما وهي :

أولاً : يبدو أن تطوير أحواض منتجة للزيت في (مناطق نائية جديدة)، أمر محتوم لامفر منه، ولكنه قرار يحمل في ثناياه تحديات مالية وتطبيقية عديدة، قد تؤدي إلى إحداث تغييرات في بنية شركات الزيت الكبرى، وربما يدفعها باتجاه مجال توليد الطاقة والصناعات الكيميائية.

ثانياً : أن تنامي إمدادات الغاز سوف يزيح الفحم والطاقة النووية عن مكانتيهما التقليديتين في أسواق الطاقة، ولكن تكلفته ومحدودية طرق توزيعه سوف تعملان على تأجيل مزاحمته للبنزين في لوسائل المواصلات المختلفة.

ثالثاً : ستحتفظ صادرات منطقة الخليج العربي من الزيت والغاز بوضعها التنافسي الجيد، كأكبر مصدر للطاقة في العالم خلال القرن القادم، وذلك بفضل احتياطاتها الهائلة وتكامل بنيتها الأساسية، وانخفاض تكلفة الانتاج فيها.

رابعاً : على الدول المنتجة، في منطقة الخليج العربي أن تبدأ مبكراً في البحث عن استراتيجيات تقانية مناسبة، لمساندة ما تتميز به دول المنطقة من تكلفة إنتاجية منخفضة نسبياً، وذلك استعداداً لمقابلة التحديات الطويلة المدى التي ستشهدها الصناعة النفطية على النطاق العالمي في المستقبل» ■

ترجمة : علي حسن المرهون - هيئة التحرير

عن مجلة سعودي أرامكو دايمنشن - عدد صيف عام ١٩٩٥م

*** الصور من أرشيف أرامكو السعودية**

ثنائيات

شعر : محمد رضا آل صادق - إيران

جودٌ وسجود

بجــودٍ ينال الفــتى عــزّةً ... ويرقى لهَام السُّـها بالسُّجودِ
ومن يأبَ كُــلاً فــسـحــقــاً له ... وأحْــرِ بأن لا يُرى في الوجــودِ

ظلومٌ

نصــحْتُ ظَلومــاً على فــعله ... وحــذّرته النارُ كي يرعــوي
فــمــا راقــه النصحُ لكن طغــا ... عِناداً .. وأن هـو إلا الغَـــوي

متملّقٌ

عــجــبتُ لذي مَلَقٍ مُظهــرٍ ... مَــــــودّتـهُ لك فـي المـآزقِ
ويُعـرضُ عنك «بيـوم» الرخـاءِ ... كـأن لم يكنْ - قـبلُ - بالشـيقِ

حياة الأديب

يُقـضّي الأديب خطى عُـمْـره ... بفــقــرٍ وبؤسٍ وعــيشٍ كنودِ
ويُجــهَلُ قــدراً مــدى دهره ... إلى يومِ إقـبــاره في اللحــودِ!

هَجَرْتُ الاخلاءَ

هجـرت الأخــلاّءَ من بعــدمــا ... مـحـضـتـهُمُ الودَّ صـفـواً زلالا
فكم جـــاحـــدٍ لي يَداً برّةً ... عليــه وناسٍ صنيــعي ضَــلالا

جبِلّة الزمان

جــبِلّةُ هذا الزمــانِ الغــشــوم ... جُـحُـودُ الكريم وهدرُ الحـقـوق
وأن يجتني «الغِرّ» مـا يشتـهي ... ولايحـصدَ (البرّ) غير العقوق

خطبٌ

يصــيـبك خطبٌ فــتـأسى لهُ ... ويعــرو فـؤادك مــا يُحــزنُ
فـــثق بمليك الورى مـــوقناً ... وهيــهــات أن يُخــذل المؤمنُ

جدالٌ

يجــادلني صــاحــبي ظالماً ... وأدفــعـــه بالتي أحــسـنُ
فـشــتّـان شــتّـان مـا بيننا ... أمــا ينصفُ (الغِـرّ) لو يذعن ؟!

منٌّ ..

يبــرُّ امــرؤ بعض إخـوانه ... ويُفــســدُ بالمنّ إنعــامــهُ
فلولا يجـــاهد «شــيطانه» ... ليلقى من الله إكـــرامَـــهُ

دنيا الغرور

زهدتُ بزخـرف «دنيـا الغـرور» ... وصــرتُ عن الناس في مـعـزلِ
فـــإذ أنا في «راحــة» والأنامُ ... يموجــون في اللُّجّــة المعُـضلِ

كفى المرء

كفى المرء جَهْلاً - وإن قد علا - ... رضــــاهُ عن النفس دون الملا
فـــأحــرِ بكلّ امــريءٍ أن يُرى ... على الخيـر - لمّا يزلَ - مُـقـبلاً

لكلٍّ نصيبٌ

لكلٍّ نصــيبٌ بهـذي الحــيــاة ... فـمنهم شـقيٌّ ومنهم سـعـيـد
ومـا ضـرّ من فـازَ بالصـالحـا ... ت أن لاتمسُّ يديه (النقــــودُ)

سألتُ المهيمنَ

ســألتُ المهـيـمنَ وهو اللطيف ... بحــاليَ أن لا أرى عــاصــيــا
وأن أتدارك مــــا فــــاتني ... فــلا أغــتــدي آثمــاً غــاوياً

أتيتُ القبورَ

أتيت القـبـورَ فـألفـيـتـهـا ... تغصّ بسكانهــا الهــامــدين
فكمْ من عُـفــاة بهــا قــد ثووا ... ومن مُـتْـرفين بغـوا مـفـسـدين

هويّتنا الحضارية

بقلم : د. محمد عمارة - مصر

عندما تكون الأمة مالكة لتراث حضاري غني وعريق، وعندما تكون حضارتها من الحضارات التي تألقت يوماً فتخطت الحدود القومية لهذه الأمة - كما هو حال أمتنا العربية الإسلامية - عندما يكون هذا هو حال الأمة، فمن الصعب - بل والمستحيل - عليها أن تقف بنضالها في سبيل الاستقلال، عند «الاستقلال السياسي»، أو حتى «الاستقلال الاقتصادي»، ولابد لها وأن تواصل مسعاها كي تحقق «الأستقلال الحضاري» الذي يعيد لها إستقلال شخصيتها القومية، ويزيل آثار التشوه الفكري التي لحقت بها عندما فقدت الاستقلال وخضعت لتاثيرات الغزاة ! ..

وفي البحث عن استكمال مقومات هذا «الاستقلال الحضاري»، يثور التساؤل عن «الهوية» الخاصة بالأمة .. وأين نلتمس معالمها وقسماتها ؟ .. أفي تراث الأمة وموروثها الحضاري ؟ .. أم في الوافد الفكري الذي وفد إلينا منذ بدء الغزوة الاستعمارية الحديثة، والذي ما زال يفد إلينا من خلال ما يتم على أرضنا من «تحديث» مطبوع بالطابع الغربي والتغريبي ؟ .. كما يثور التساؤل كذلك عن ماهية القسمات التي تكوّن «هوية» الأمة الحضارية؟ .. وهل «الهوية» هي كل «التراث» ؟ .. وإلى أي مدى يصيب التطور والتغير «الهوية» الحضارية للأمة في مجرى التطور العام ؟؟ ..

* * *

وبادئ ذي بدء، فلابد من تحديد مضامين المصطلحات، فكلمة «الهُوية» - بضم الهاء - مصطلح استعمله العرب والمسلمون القدماء .. وهو منسوب إلى «هُو» .. وهذه النسبة تشير إلى ما يحمله من مضمون .. فهي تعني - كما يقول «الجرجاني» : «الحقيقة المطلقة، المشتملة على الحقائق اشتمال النواة على الشجرة في الغيب المطلق».

أما معاجمنا الحديثة فإنها لم تخرج عن هذا المضمون، عندما قالت عن «الهوية» : إنها «حقيقة الشيء، أو الشخص المطلقة، المشتملة على صفاته الجوهرية، التي تميزه عن غيره ..» .. وتسمى أيضاً : «وحدة الذات».

وباختصار فإن الهوية الحضارية لأمة من الأمم، هي القدر الثابت، والجوهري، والمشترك من السمات والقسمات العامة، التي تميز حضارة هذه الأمة عن غيرها من الحضارات، والتي تجعل للشخصية القومية طابعاً تتميز به عن الشخصيات القومية الأخرى.

وإذا شئنا أن نضرب بعض الأمثال للقسمات الجوهرية التي غدت، لعمومها واستمراريتها، جزءاً أصيلاً في «هوية» أمتنا العربية الإسلامية، فإننا سنجد مثلاً :

● **العروبة** : بالمعنى الحضاري والفكري - وليس بالمعنى العرقي والعنصري - فلقد غدت العروبة هوية لهذه الجماعة البشرية التي تعربت بعد الفتح العربي الإسلامي، والتي أصبح ولاؤها وانتماؤها لكل ما هو عربي، وليس للأطوار الحضارية غير العربية التي سبقت، في تاريخها، طور التعريب .. ولقد استوت في هذا الولاء والانتماء للعروبة بأولئك الذين انحدروا من أصلاب عربية بالمعنى العرقي..

وكما أصاب التعريب البشر، فجعلهم جزءاً من نسيج الأمة الجديدة، كذلك أصاب المواريث الحضارية لشعوب البلاد التي أصابها التعريب .. فلقد أحيا الإسلام الصالح من هذه المواريث، بعد أن كادت تموت في ظل القهر البيزنطي القديم، ولم يمارس الإسلام ضدها حرب «المسخ والنسخ» التي مارستها الحضارة الأوروبية ضد المواريث الحضارية لأهل البلاد التي ابتليت بالاستعمار الحديث .. فكما دخلت شعوب البلاد، بعد الفتح، إلى

نسيج الجماعة العربية بالتعريب، كذلك غدت هذه المواريث الحضارية القديمة جزءاً أصيلاً في الحضارة التي تبلورت على أرض هذه الأمة، وكان ذلك محصلة لتفاعل الإسلام، بروحه الشابة وأفقه العقلاني، مع الصالح من هذه المواريث .. وإذا كان «الإسلام الدين»، المنزّه عن الاضافات والبدع والأبداعات البشرية .. قد اختصّ به الذين تدينوا به من المسلمين، فإن «الحضارة العربية الإسلامية»، بعلومها وفنونها الدنيوية، قد جاءت ثمرة للإسلام الدين وللمسلمين المؤمنين به، مع تلك الأسهامات والاضافات التي دخلت نسيج هذه الحضارة من المواريث التي سبقت ظهور الإسلام، وتلك التي أبدعها الذين تعربوا مع بقائهم على الشرائع الدينية التي سبقت ظهور الإسلام

فعروبة البشر وعروبة الحضارة، هي سمة من السمات الثوابت، التي غدت جزءا من «الهوية» التي تميز أمتنا وحضارتنا عن غيرها من الأمم والحضارات.

وإذا كان «عموم» العروبة في الأمة – كجماعة بشرية – وفي حضارتها – بعلومها وفنونها وآدابها – هو مما لايحتاج إلى إثبات أو إيضاح .. فإن بعضنا قد يرتاب في «ثبات» هذه القسمة بوجه عوامل التطور والتغير، داخلية كانت أو خارجية، ومن ثم فإنه قد يرتاب في كون هذه «العروبة»، واحدة من القسمات التي تمثل «هوية» لهذه الأمة، في المستقبل، كما كانت في ماضيها وحاضرها !

وقد يحلو النظر إلى «العروبة» على أنها مجرد قسمة من قسمات «البناء الفكري الفوقي»، الذي يصيبه التطور والتغير عندما يتطور ويتغير «البناء المادي التحتي» للمجتمع، كما هو الحال مع بعض «الأفكار» التي تتبع في البقاء أو الذهاب الظروف المادية التي تبعثها وتستدعيها !

ونحن نعتقد أن نظرة متأملة للتحديات التي جوبهت بها عروبة الأمة وعروبة حضارتها عبر تاريخنا المليء بالتحديات، ستجعلنا على يقين من أن «العروبة» هي «هوية» .. وليست مجرد «بناء فوقي» يتغير بما يصيب «البناء المادي التحتي» من تطور وتغيير ..

لقد سيطر «الترك – المماليك» و «الترك – العثمانيون» على مقدرات هذه الأمة العربية أغلب قرون تاريخها الإسلامي .. وسيطر الأستعمار الغربي وهيمن على حياتنا قرابة القرنين من الزمان .. وخلال هذه القرون الطويلة واجهت «عروبة الأمة .. وعروبة الحضارة» أقسى الإمتحانات

ففي ظل «الترك – المماليك»، الذين كانوا فرسان العصر الوسيط، وحماة الديار من الخطر الخارجي لقاء أن تصبح هذه الديار إقطاعاً حربياً لأمرائهم وأجنادهم! .. ظهرت دعوى عدم ارتباط العروبة بالإسلام! .. فلقد كان الحاكم غريباً عن الروح القومية للأمة، تجمعه بها وحدة الدين فقط، فشاعت المقولة التي تغض من شأن «العروبة» حتى لقد زعم بعضهم تناقضها مع الإسلام ! ..

أما في ظل الهيمنة الاستعمارية الغربية فإن محاولات «فرنسة الجزائر» و «تغريب» فكر الأمة، ومحاربة العربية، من خلال كتابتها بالحرف اللاتيني مرة .. واستبدال العامية بها مرة ثانية .. والتخطيط لسيادة الجهل بها في كل الأحايين ؟! .. إن هذه المحاولات وأمثالها شواهد على ما جابه العروبة في تلك الحقبة من تحديات ..

لكن «العروبة»، رغم هذه التحديات ظلت صامدة شامخة مستعصية على التحرك من موقعها الحصين .. فليست هي إذن «بالبناء الفوقي» الذي يصيبه التغير بتغير الظروف .. وإنما هي «جوهر – ثابت»، كما هي «عام وشامل» له صفة «الاستمرار»، إنها «هوية»، وليست مجرد تراث ! ..

وجدير بالذكر والتنويه أن هذه ليست خصوصية للأمة العربية، وإنما هي لازمة من لوازم الإسلام .. فهي عروبة اللغة ، التي يستحيل على المسلم من أي جنس أو لون أو قومية أن يفقه القرآن المعجز، فيبلغ في فقهه مرتبة الأجتهاد والتشريع دون أن يكون عربي اللغة، كما يستحيل على هذا المسلم، من أي لون أو جنس أو قومية أن يفقه علوم الشريعة الإسلامية، وفي مقدمتها الحديث النبوي و علومه، ومدونات الفقه الإسلامي – وأغلبها عربي اللغة – دون أن يكون هذا الفقيه عربي الثقافة .. فإذا لم تكن العربية شرطاً في التدين بالإسلام، فإنها شرط للتفقه والإجتهاد فيه

وهكذا نجد «العروبة» قرينة «للإسلام»، تنتشر بانتشاره .. إذا لم تعترض ذلك العقبات المصنوعة التي تكيد لهما معاً، وتزدهر بازدهاره إذا لم تلق في طريقهما المعوقات التي تستهدفهما معاً.

إنها عروبة الفكر والثقافة واللغة والحضارة، تلك التي أثمرها الإسلام .. وليست عروبة الجاهلية وعصبيّتها العرقية القاصرة.

التدين : هو الآخر قسمة من القسمات الجوهرية والثوابت التي تكون جزءاً من «هوية» هذه الأمة !

ونحن، بالطبع، لانزعم أن أمتنا وحدها هي المتدينة من بين الأمم الأخرى .. لكننا نقول : إن ما يميز أمتنا - كهوية لها - في التدين، أمران

أولهما : عمق التدين في ضمير أبنائها وقلوبهم، ليس في الحقبة الإسلامية وحدها، وإنما عبر تاريخ الشرق الطويل .. فوطن أمتنا، تاريخياً، هو مهد الديانات ومهبط الرسالات .. ولقد عرفت هذه الأمة «روح» التدين، ولم تقف فقط عند مظاهره .. وإذا كانت الحضارة الغربية قد حولت المسيحية - وهي - في أصولها الأولى - : ديانة التصوف المسالم والسلام المتصوف - إلى مجرد ممارسات خالية من الروحانية، في إطار هذه الحضارة المتميزة بطابعها المادي منذ جاهليتها اليونانية وحتى عصرها الحديث .. إذا كان هذا هو حال الحضارة الغربية مع «جوهر التدين»، فليس هذا هو حال حضارتنا المتدينة بالطبع والفطرة مع ما شهدت من شرائع الأديان .

لقد تحدث جمال الدين الأفغاني عن «أن التدين في حضارتنا قد بلغ حد «الطَبع والجِبلّة»، حتى لتستعصي الروح الإيمانية على الاقتلاع حتى عند الذين يتوهمون أنهم قد اقتلعوها بالزندقة والمروق من الدين والالحاد فيه والتحلل من التكاليف التي حددتها شريعة الإسلام .. فروح التدين تبلغ لدى المسلم الحد الذي تجعل من الإسلام «وطناً» و «جنسية» و«هوية حضارية»، يغضب لها ويسعد بها حتى الذين يتوهمون خلاصهم منها بالزندقة والالحاد .. أنها تبقى طابعة لهم، وأثرها فيهم باق وفاعل كأثر الجرح بعد أن يندمل » .

وثانيهما : عموم روح التديُن في البناء الحضاري لأمتنا العربية الإسلامية

فالتدين - خاصة في الحضارة الغربية - قد وقف عند «الفرد»، واقتصر على علاقة الفرد بخالقه .. أما حضارتنا العربية الإسلامية، فلقد وجدناه يتعدى علوم الوحي والشرع إلى علوم الدنيا وفنونها، فهو الروح العامة السريان في كل علوم التمدن المدني والإبداع الحضاري وتنمية العمران البشري، وليست محصورة فيما عرفته الحضارة الغربية تحت عنوان «اللاهوت» فنحن أبناء «حضارة مؤمنة»، ارتبطت فيها العلوم جميعاً، بما فيها «العلوم البحتة»، بالقاعدة الإيمانية .. إنها «الحضارة المؤمنة»، التي يذكر فيها اسم الله في كل شيء وليس في الصلوات فقط. نستفتح الأكل باسمه .. ونختتمه بحمده ونهلّ بذكره على الذبائح .. ونلجأ إليه عند الحزن، وعند السرور .. في وقت الضحك، وساعة البكاء .. كل مسعى الإنسان عبادة، حتى ترويحه عن النفس .. بل ومباشرته متع الحياة المشروعة .. إنها الحضارة التي قال الإمام الغزالي (٤٥٠ - ٥٠٥ هـ / ١٠٥٨ - ١١١١م) عن غاية العلماء من العلم فيها : «طلبنا العلم لغير الله، فأبى أن يكون إلا لله!؟» .. فإذا كتب التيفاشي (٥٨٠ - ٦٥١ هـ / ١١٨٤ - ١٢٥٣ م) في طبيعة الأرض - «الجيولوجيا» - كتابه (أزهار الأفكار في جواهر الأحجار) افتتحه استهلال مصنفات الفقه الإسلامي؟! .. وإذا صنف ابن حزم الأندلسي (٣٨٤ - ٤٥٦ هـ / ٩٩٤ - ١٠٦٤ م) في «الحب» كتابه «طوق الحمامة في الإلف والألاف» فإنه يفتتحه بـ «بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين أفضل ما ابتدئ به حمد الله عز وجل بما هو أهله، ثم الصلاة والسلام على محمد عبده ورسوله خاصة، وعلى جميع أنبيائه عامة .

فحضارتنا ليست الحضارة الغربية التي تدرس ظواهر النفس الإنسانية مقطوعة الصلة بخالق هذه النفس، سبحانه .. والتي تدرس ظواهر الطبيعة على أنها جزء من عالم بلا خالق، فتكون بذلك لدى العلماء عقولاً ملحدة، حتى ولو لم تطرح قضية الألحاد للنقاش ؟! .. ولكن حضارتنا تدرس كل الظواهر الاجتماعية والنفسية والطبيعية باعتبارها ميادين في عالم له خالق سَوّاه وبرءاه، وباعتبار هذه المباحث واجبات شرعية للكشف عن الأسرار التي أودعها الخالق في هذا الوجود، وحمل الإنسان أمانة إماطة اللثام عن هذه الأسرار .. ولذلك، فإن علوم هذه الحضارة، لاتساهم في تنمية الروح الإيمانية لدى علمائها، كما أنها تربط بين هذه العلوم وبين الحكم والغايات التي وضعها الخالق للإنسان، حيث أنه خليفة عنه، عليه أن يتخلق بالأخلاق التي أمر الله تعالى أن

يتحلّى بها في هذا الوجود .

ومثل ذلك صنعت حضارتنا عندما ربطت السياسة بالشريعة، فأقامت بينهما الصلات التي تنفي الفصل العلماني بين الدين والدولة، دون أن تجعل هذه السياسة ديناً خالصاً، كما كان الحال في الكهانة الكنسية الغربية في العصور المظلمة والوسطى !

وهذه الروح المتدينة - في حضارتنا - محورها ومزاجها هو «التوحيد» - به تميز تدينها، وتميزت سماتها وقسماتها جميعاً - حتى لنستطيع أن نقول إن هذا «التوحيد» قد غدا «هوية» تتميز بها أمتنا وحضارتنا عن غيرها من الأمم والحضارات .. فالتوحيد الإسلامي، الذي بلغ الذروة في النقاء والقمة في التجريد، عميق وقديم في المكونات الفكرية لتراثنا .

إنه جدول من نبع التوحيد الديني الذي عرفته حضارتنا منذ فجر التاريخ الإنساني، وأصبح معلماً بارزاً من معالم تراثها الفكري، وبه تميزت عن صورة التوحيد في «العهد القديم»، تلك التي جعلت «التوحيد» أقرب ما يكون إلى الوثنية، فالله فيها هو إله لبني إسرائيل وحدهم، أما الشعوب الأخرى فلها آلهتها الخاصة بها (٦) .

وحتى وثنية العرب القديمة، في جاهليتهم التي سبقت الإسلام، كانت «انحرافاً» عن جوهر ونقاء هذا «التوحيد» «وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ..... » (لقمان : آية ٢٥) .. « مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ... » (الزمر : آية ٣)

وهذه الروح «التوحيدية» التي بلغت في روح الحضارة الشرقية مبلغ «الهوية» والثوابت من القسمات، هي التي جعلت المسيحية تعجز عن تلبية حاجات الإنسان الشرقي الاعتقادية، عندما أصابتها التأثيرات «الهلينية» بما أخرجها من الإطار الحقيقي للتوحيد الحق ؟! .. فكان دخول شعوب الشرق في دين الله - الإسلام - أفواجاً، دونما إكراه، بالترغيب أو الترهيب، رغم حرية الاعتقاد التي أبقت المؤسسات الكنسية وما لها من تراث في الجدل وخبرات في التبشير .. فلقد كان التوحيد الإسلامي، الذي بلغ الذروة في النقاء، والذي أعاد إلى هذه العقيدة - التي هي جوهر الدين - صفاءها ونقاءها الذي أرادها عليه الواحد، سبحانه وتعالى .. كان هذا التوحيد الإسلامي «الهوية» التي أعادت شريعة الإسلام الكشف عن جوهرها، بعد أن طمستها تعقيدات التثليث والتجسيد والحلول !

و إذا كان الباحثون في تراث الغرب الفلسفي، يرصدون في ذلك التراث تياراً «مادياً - ملحداً» منذ اليونان وحتى عصرنا الراهن .. فلابد وأن يلفت نظر هؤلاء الباحثين خلو تراثنا الفلسفي من هذا التيار «المادي - الملحد» عبر تاريخنا الحضاري الطويل !، وما تلك الشبهات والمقولات والأجتهادات التي لاتمت إلى الإسلام بصلة إلا «وافد» غريب عن روح حضارتنا وفكرها الفلسفي، لم يتعد مكان «النتوء النشاز»، ولم يبلغ يوماً حجم «التيار» أو ما يشبه «التيار» ! .. أما الأجتهادات الأصيلة، فإن النهج «العقلاني - الإسلامي - الوسطي - الذي تآخت فيه «الحكمة» و «الشريعة» - يضعها في إطار «العقلانية الإسلامية»، وينفي عنها أن تكون «مادية» ..

فالتدين إذن من القسمات الثوابت، التي غدت في حضارتنا العربية الإسلامية «هوية» تتميز بها هذه الحضارة عن غيرها من الحضارات

● **الأعتدال** : الذي جعل هذه الحضارة - وأمتها - ترفض «الغلو»، بكل صوره، وفي كل الميادين .. هو الآخر من القسمات التي غدت «هوية» نتميز بها عبر تاريخنا الحضاري الطويل .. فهذا الاعتدال هو الذي جعلنا أمة وسطاً، نقف موقف الشاهد، الذي هو «عدل» بين ظلمين، و «حق» بين باطلين، و «اعتدال» بين تطرفين.

وهذا «الاعتدال» هو الذي نسميه : «الوسطيّة الإسلامية» .. تلك التي جعلها الله، سبحانه وتعالى ، خصوصية هذه الأمة - أي «هويتها» - وصفة من صفاتها المميزة لها « وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ » (البقرة : آية ١٤٣)

بل إننا لا نغالي إذا قلنا إن هذه «الوسطية الإسلامية» قد غدت - لمركزها ومركزيتها في «القسمات : الهوية» - قد غدت جماع «الهوية» العربية الإسلامية، وزاوية الرؤية الصحيحة والوحيدة لكل من أراد إدراك حقيقة السمات التي تميزت بها حضارتنا، أي إدراك حقيقة جوهرها و«هويتها» .. كما غدت معيار تقدم الأمة - يوم سادت وتألقت في إبداعها الحضاري - وسبب تراجعها وجمودها وتخلفها عندما أخلت مكانها للغلو والتطرف، ذات اليمين أو ذات الشمال! ■

شلل الأطفال

بقلم . الدكتور أحمد كنعان   الدمام

للإنسان في حربه ضد المرض حكاية طويلة فوق هذه الأرض، وقد ظل الإنسان هو الطرف الأضعف في هذه المعركة إلى وقت قريب حتى يسّر الله عز وجل للإنسان وسائل متطورة للكشف عن عوامل المرض وأسبابه، وعندئذ بدأت كفة الإنسان ترجح، وبدأ يحقق الانتصار، إلى أن توّج انتصاراته بفضل الله في عام ١٩٧٨م بالقضاء على مرض الجدري الذي يعدّ أول مرض في التاريخ يُقضى عليه بجهود بشرية منظمة!

القضاء على الجدري :

بدأت حكاية القضاء على الجدري أواخر القرن الثامن عشر، عندما لاحظ الطبيب الانكليزي ادوارد جنَر (١٧٤٩ - ١٧٤٣م) ان النساء اللواتي يقمن بحلب الأبقار لايصبن بالجدري، وقد استرعت الظاهرة انتباه هذا الطبيب الشاب النابه، فراح يقضي معظم أوقاته شارداً يتفكر في العلاقة ما بين حلب الأبقار وبين هذه المناعة التي تتمتع بها حالبات الأبقار، إلى أن التمعت في خاطره فكرة جريئة لم يتردد في تنفيذها، فاستخلص عصارة من بثرات جدري البقر (وهو غير الجدري الذي يصيب الإنسان) من على ضرع بقرة مصابة وحقن الخلاصة في جلد أحد المتطوعين، وبعد فترة حقن المتطوع نفسه بخلاصة أخذها من مريض مصاب بجدري الإنسان فلم يصب المتطوع بالجدري، وهكذا بدأ عصر «التطعيم» على أساس علمي.

إلا أن هذا الانجاز الرائع الذي حققه جنَر لم يكن كافياً لانتاج لقاحات على نطاق تجاري واسع وكان لابد من الانتظار فترة اخرى حتى جاء الفرنسي لويس باستور (١٨٢٢ - ١٨٩٥م) الذي أدت أبحاثه إلى اكتشاف الميكروبات Microbs أي الجراثيم وعوامل المرض المجهرية الأخرى واستطاع لأول مرة في تاريخ الطب تحضير أول لقاح عرفه الإنسان وانتجه على نطاق تجاري، وهو «لقاح داء الكلب» في عام ١٨٨٥م



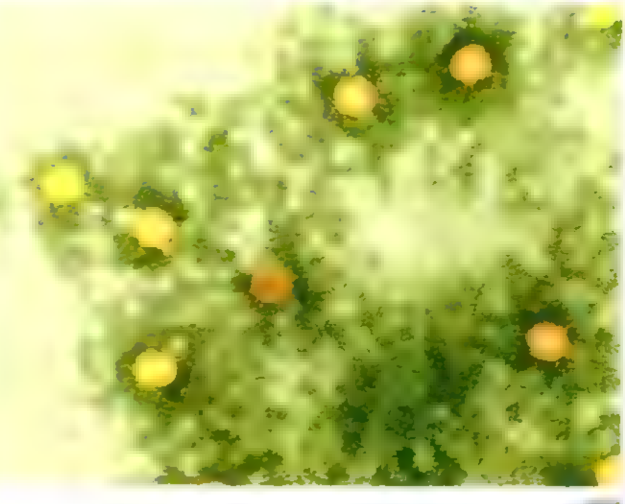
وبعد ذلك توالى تحضير اللقاحات المختلفة لكثير من الأمراض السارية

ونظرا لأن الجدري كان يعد مشكلة صحية عالمية تقض مضاجع المهتمين بالصحة العامة في شتى بقاع المعمورة وكان يكلف سنوياً مبالغ طائلة من الأموال، ولأن لقاح الجدري أثبت كفايته في الوقاية من هذا المرض، فقد دعت منظمة الصحة العالمية إلى تعميم اللقاح عالمياً من خلال حملات تطعيم شاملة، وقد بذلت الأوساط الصحية المختلفة في شتى دول العالم جهودا كبيرة في هذا السبيل، إلى أن كتب الله النجاح لتلك الجهود، وقضي على الجدري. وأعلن ذلك رسمياً في عام ١٩٧٨م.

التحصين باللقاحات:

شجع هذا الانجاز الطبي الأول من نوعه على تعميم التحصين باللقاحات المختلفة، مع التركيز على الأطفال لوقايتهم من أمراض الطفولة الفتاكة التي تودي كل عام بأرواح ملايين الأطفال خاصة في الدول النامية، فوضعت منظمة الصحة العالمية بالتعاون والتنسيق مع منظمة الامم المتحدة للطفولة (اليونيسيف) برنامج التحصين الموسع الذي يستهدف اعطاء الطفل جميع اللقاحات الأساسية خلال السنة الأولى من عمره ولم تمض سنوات معدودات على تنفيذ هذا البرنامج حتى بدا العلماء

يلاحظون انخفاض عدد الاصابات بالأمراض التي استهدفوها بالتحصين، وصار كثير من تلك الأمراض على وشك الاختفاء من الأرض كما اختفى الجدري من قبل، وعلى رأس هذه الأمراض المرشحة للاختفاء مرض «شلل الأطفال الذي تشير الدلائل العلمية إلى امكان استئصاله من الأرض في غضون السنوات القليلة القادمة قبيل عام ٢٠٠٠م».



فيروسات شلل الأطفال كما تبدو تحت المجهر

شلل الأطفال :

في عام ١٩٩٥م خصصت منظمة الصحة العالمية اليوم العالمي للصحة الذي يصادف يوم ٧ نيسان «ابريل» من كل عام، لتناول مشكلة شلل الأطفال تحت شعار : «عالم خالٍ من شلل الأطفال»، لتوجيه الرأي العام نحو التحذير من أخطاره ومضاعفاته الوخيمة، ومن ثم الحضّ على تحصين الأطفال ضده. فما هو شلل الأطفال ؟ وهل ستتمكن البشرية حقاً من القضاء عليه كما تمكنت من القضاء على الجدري من قبل؟!

إن مرض شلل الأطفال، أو التهاب سنجابية الدماغ مرض يختار ضحاياه غالباً من الأطفال الذين لاتزيد أعمارهم عن خمس سنوات وينتج عن الإصابة بالفيروسة السنجابية التي يوجد منها ثلاثة انماط تعرف بالأرقام (١، ٢، ٣) والنمط الأول هو أكثرها إحداثاً للشلل، وغالباً ما يكون وراء الحالات الوبائية التي تنتشر على نطاق واسع، أما النمط الثاني فإنه نادراً ما يصيب الأطفال، وبالنسبة للنمط الثالث فإنه قليلا ما يسبب الشلل الفعلي

وغالباً ما تحدث العدوى بفيروسة الشلل عن طريق الالتماس المباشر مع مفرزات المريض ولاسيما البراز الذي يحمل عادة كميات هائلة من الفيروسة. وفي حالات الأوبئة يمكن أن تنتشر العدوى عن طريق الفم لأن الفيروسة تعشش في بلعوم المريض وحلقه. كما يمكن أن تحدث العدوى عن طريق بعض الأطعمة خاصة الألبان التي تلوثت ببراز المريض، ولاتوجد دلائل على حصول العدوى عن طريق الحشرات أو المجاري، ومع أن للماء دوراً مؤكداً في نقل عوامل المرض فإن العدوى عن طريق المياه لم تحصل إلا نادراً جداً!

وبعد دخول الفيروس إلى الجهاز الهضمي للطفل تأخذ بالتكاثر، وتنتشر في الدم وتتوجه إلى الجملة العصبية المركزية في الدماغ والنخاع الشوكي فتعشش في المراكز الحركية المسؤولة عن تحريك العضلات وتبدأ بتخريبها وتعطيل وظائفها، مما يفضي إلى الشلل في نهاية المطاف

الأعراض الأولية :

تسبق الشلل عادة أعراض أولية تبدأ بعد فترة وجيزة من دخول الفيروسة إلى الجسم هي فترة حضانة تتراوح ما بين أسبوع إلى اسبوعين، فيصاب الطفل بالحمى والفتور والصداع مع غثيان وقيء وآلام حادة وتشنجات في العضلات، وتيبس في العنق والظهر، ثم تظهر علامات الشلل الرخو الذي يتوقف موقعه على مواقع التخريب في الجملة العصبية، وهو غالباً ما يصيب الأطراف، اليدين أو الرجلين، أو أحداهما، وتكون اصابة الأطراف غير متناظرة أي ليست بالشدة نفسها، ويكون الشلل من النوع الرخو فتسترخي العضلات وتصبح غير قادرة على التقلص، أما الحس في الطرف المشلول فيبقى سليما

وتكمن خطورة المرض في أن الشلل قد يمتد إلى عضلات التنفس والبلع فيهدد الطفل بالموت، وتتراوح نسبة الوفيات في مثل هذه الحالات ما بين (٢ - ١٠٪) وتزداد خطورة المرض كلما كان عمر المصاب أكبر، فإذا نجا الطفل من الموت لم ينج من الشلل الدائم الذي يخلف عنده عاهة دائمة ترافقه طوال حياته. ومن رحمة الله تعالى أن الأطفال الذين تصيبهم العدوى بفيروسة الشلل لا يصاب منهم بالشلل الفعلي سوى ١٪ تقريباً، وأما بقية الأطفال فتظهر عليهم بوادر المرض الأولى التي ذكرناها، دون أن يصابوا بالشلل، وبعد أيام قليلة يتعافون، ويكتسبون مناعة ضد المرض!

ومما يذكر أن هناك عدداً كبيراً من الأمراض الأخرى غير شلل الأطفال تترافق مع الشلل، منها على سبيل المثال التهاب النخاع المستعرض، ومتلازمة جيلان باريه، ولهذا يجب اعتبار أية علامة من علامات الشلل الرخو عند طفل دون الخامسة من عمره هي حالة شلل أطفال إلى أن يثبت غير ذلك.



انتشار المرض حول العالم :

إلى سنوات قريبة كان مرض شلل الأطفال منتشرا في شتى أنحاء العالم، ولايكاد يخلو مجتمع من مجتمعات الارض من مناظر حملة العكازات أو مستخدمي الكراسي المتحركة، وظل الحال على هذه الصورة المأساوية، ولم يبدأ شلل الأطفال بالإنحسار إلا منذ سنوات قليلة، بعد أن عمّ استخدام لقاح الشلل على نطاق واسع في العالم، ويلاحظ من الجدول المرفق انحسار المرض في شتى أنحاء المعمورة خلال العقد الأخير من هذا القرن، وعلى سبيل المثال فقد كان هناك اكثر من ٥٠٠٠٠ حالة شلل أطفال في العام ١٩٧٨م انخفضت في العام الماضي ١٩٩٤م إلى أقل من خمسة آلاف حالة، وقد جاء هذا الانخفاض السريع نتيجة التزام دول العالم بالتحصين ضد الشلل، وارتفاع نسبة تغطية الأطفال باللقاح الذي يعدّ الوسيلة الفعالة الوحيدة للوقاية من هذا المرض، خاصة أن شلل الأطفال ليس له علاج، شأن معظم الأمراض الفيروسية

لقاح شلل الأطفال :

بدأ الطريق إلى تحضير لقاح شلل الأطفال في العام ١٩٤٩م عندما تمكن ثلاثة من الأطباء هم Enders, Robbins, Weller من زراعة فيروسة الشلل لأول مرة على الأنسجة الحية، ونالوا على هذا الإنجاز العلمي جائزة نوبل في عام ١٩٥٤م، وقد ساهم هذا الانجاز الكبير في دراسة فيروسة شلل الأطفال ومعرفة طبعها وآثارها المرضية، كما ساهم في تحضير أول لقاح فعال ضد المرض عام ١٩٥٤م على يد الطبيب الأمريكي سالك الذي نجح في تحضير لقاح مكون من فيروسات الشلل المعطلة In-activated وكان يعطى عن طريق الحقن، وفي عام ١٩٥٧م طور الدكتور سابين نوعا آخر من اللقاح يضم فيروسات موهنة Attenuated ويعطى عن طريق الفم نقطتان لكل جرعة وهذا ما جعل الناس يقبلون عليه

ويعطى لقاح الشلل عادة على عدة جرعات

- الجرعة الأولى عندما يكمل الطفل ٦ أسابيع من عمره
- الجرعة الثانية : عندما يكمل ٣ شهور
- الجرعة الثالثة . عندما يكمل ٥ شهور
- وعندما يكمل الطفل الشهر الثامن عشر من عمره يعطى جرعة منشطة لتدعيم الأثر المناعي للجرعات السابقة، ويفضل اعطاؤه جرعة منشطة أخرى عند دخوله روضة الأطفال أو دخول المدرسة ٤ - ٦ سنوات وبهذا يستكمل جسم الطفل المناعة اللازمة لمواجهة فيروسات الشلل بإذن الله تعالى

ونظرا لأن برامج التطعيم مهما كانت دقيقة لاتستطيع الوصول إلى جميع الأطفال المستهدفين بالتطعيم فإن معظم دول العالم - خاصة الدول التي لم تتمكن من الوصول إلى نسبة تغطية عالية تبنت استراتيجية أيام التحصين الوطنية حيث تخصص أياماً معينة من كل عام للقيام بحملات تطعيم وطنية شاملة لتغطية المناطق ذات التغطية المنخفضة والجيوب والبؤر التي يتعذر تغطيتها في الأحوال العادية، لضمان وصول اللقاح إلى أكبر عدد ممكن من الأطفال المستهدفين، مما يرفع مستوى مناعتهم، ويضمن - بقدرة الله تعالى - حمايتهم من هذا المرض الذي يختلف عن غيره من الأمراض بأنه لايدخل بيتا إلا وترك فيه ذكرى مؤلمة حزينة !.

الحالات (بالآلاف)

١٩٧٨ ٧٩ ٨٠ ٨١ ٨٢ ٨٣ ٨٤ ٨٥ ٨٦ ٨٧ ٨٨ ٨٩ ٩٠ ٩١ ١٩٩٢

سنوات

جدول يوضح حالات شلل الأطفال بين ...

وتتوقع الأوساط العلمية المختصة التي تحمل همّ هذه المشكلة أنه بمضي سنوات قليلة سوف يتخلص العالم من شلل الأطفال، وعندها سوف تختفي إلى غير رجعة مناظر العكازات والكراسي المتحركة، كما اختفت من قبل مناظر البثور التي كان يخلفها الجدري على وجوه من يصيبهم ■

المراجع

Unicef: The State of the World's Children, 1994.
Abram S. Benenson: Control of Communicable Diseases in Man, American Public Association, 1990
Nizar Ajjan: Vaccination, Pasteur Merieux, 1991.
Harrison: Principles of Internal Medicine, McGraw Hill, 1993, WHO
Unicef: Polio Fax, 1994 1995

تخطيط وحفظ الطاقة الكهربائية في الدول النامية

بقلم نايف العبادي - الأردن

أبدى عدد قليل من الدول اهتماما بالتخطيط الشامل لقطاع الطاقة قبل أزمة النفط الاولى في عام ١٩٧٣/ ١٩٧٤م ، وكان هذا يعد أمرا مقبولا إذ كانت الحاجة للتخطيط قليلة فالنفط رخيص وكثير وأي زيادة في الطلب المحلي عليه كانت تقابل إما بإنتاج أعلى في الدول المنتجة او بمستوردات اكثر من قبل الدول التي تعاني من عجز ، وخلال هذه الفترة كان التخطيط الشمولي لقطاع الطاقة يتكون من مجموعة من الخطط الفردية التي تهدف الى زيادة العرض في كل قطاع من قطاعات الطاقة الفردية (اي الكهرباء ، والنفط ، والغاز، والفحم) مع قليل من التنسيق ما بين هذه القطاعات، ومنذ عام ١٩٧٣ م تقريبا بدأت شركات محطات توليد الكهرباء باستخدام نماذج البرمجة الخطية بالحاسوب لمساعدتها في تحديد خطط التوسعة الاقتصادية الأقل تكلفة لتوليد الكهرباء لمقابلة الطلب عليها .

عانت الدول النامية المستوردة للنفط من تدهور حاد في موازين مدفوعاتها بسبب أسعار النفط العالية صاحبها اعتقاد بأن أسعار النفط ستستمر في الارتفاع ، وقد حددت أولوياتها الرئيسة في سياسة الطاقة بما يلي

- رفع الكفاية في استهلاك النفط بهدف تخفيض الطلب عليه
- إحلال مصادر طاقة قليلة التكلفة محل النفط
- زيادة العرض من النفط المحلي

وللتعرف إلى جميع البدائل والخيارات لحفظ الطاقة فان هيكل الطلب على الطاقة ضمن جميع قطاعات الاقتصاد، كان لابد أن يدرس بشكل تفصيلي ، وفقا لنوع الاستخدام النهائي ونوع الوقود . ولقد أعطيت الأولوية القصوى للتعرف على بدائل فنية واقتصادية قابلة للتطبيق ، وكان قطاع الكهرباء الفرعي هدفاً سهلاً لمثل هذا الخيار ، ففي العديد من أنظمة الكهرباء التي كانت موجودة قبل عام ١٩٨٣م كان الوقود النفطي والسولار مهمين جداً ، ولهذا وضعت الخطط وطبقت



لاستبدال الوقود النفطي في توليد الكهرباء بالغاز الطبيعي ذي التكلفة المنخفضة والفحم والاليجانيت والطاقة الهيدروجينية.

وكانت القضية الرئيسة في السبعينات هي استخدام النفط بسبب التكلفة العالية ، وبشكل عام كان تصنيف اغلب خيارات بدائل النفط تحدد على أساس تحليل التكاليف والعوائد لمشروع البدائل على حدة (أي ان التحليل كان على مستوى المشروع او على المستوى الجزئي) وقد أدى هذا إلى قيام مشروعات لزيادة انتاج الغاز وانظمة النقل ، وتجميع مصادر تزويد الفحم والاليجانيت .. إلخ ، بكلمات أخرى كانت سياسة الطاقة في اغلب الدول النامية المستوردة للنفط تركز على جانب العرض

لهذا أصبح التخطيط لقطاع الطاقة مهما بشكل متزايد ويحتاج الى ثلاثة عناصر رئيسة

الأول : تحليل التبادل بين القطاعات الفرعية المزودة للطاقة وهي تثبت حصصها المختلفة في سوق الطاقة وحل أية نزاعات تنشأ في جانب العرض

الثاني وجود سياسة منسجمة لتسعير الطاقة خلال قطاعات العرض الفرعية وأنماط الطلب ، حيث يكون الأهتمام منصبّاً على جانبين رئيسين بحيث يعكس جانب العرض مستويات الأسعار عند حدها الأدنى لضمان تكلفة العرض الحدية طويلة الأجل ، وعلى جانب الطلب كان الهدف ضمان عدم اختلاف هيكل أسعار انواع الوقود المختلفة عند الطلب النهائي عن هيكل تكاليف العرض الاقتصادية لأنواع الوقود الأخرى، بسبب ضرائب الوقود على سبيل المثال

الثالث معرفة الهيكل التفصيلي للطلب على النفط في الاقتصاد لتحديد الفرص المتاحة أمام زيادة الكفاية في استخدام النفط وتعريف خيارات بدائل النفط القابلة للتطبيق فنياً واقتصادياً

ان التخطيط الكامل للطاقة له جذوره في قطاع الكهرباء وتعني كلمة الطاقة بالنسبة للعديدين الطاقة الكهربائية ، مع انها تمثل ٢٠ ٪ فقط من الاستهلاك الكلي وفيما يتعلق بالهيدروكربونات اختلفت الأنشطة بشكل كبير في برامج التطوير ، ومن ضمنها برامج التطوير في الدول المصدرة للنفط بحيث يرتبط معدل الإنتاج بالطلب العالمي ، ومع إعادة تقديم هذا الوقود خلال العقد الاخير بدأ بعض الدول بتنفيذ برامج تسمح بتزويد النفط ضمن برنامج تخطيط متكامل للطاقة ، اما الفحم فعلى الرغم من كونه مصدرا تقليديا للطاقة في اوروبا والولايات المتحدة فإنه يعاد اكتشافه في المنطقة ، ليصبح بديلا جديدا . وبالنسبة للوقود الخشبي وأنواع الوقود غير التجارية الأخرى فانها لم تثر اهتمام المخططين الذين هم بشكل عام أكثر اهتماما بتحليل كيفية تمويل انتاج الكهرباء دون ابداء اهتمام لاستهلاك وإنتاج ما يسمى خطأ بالأشكال غير التجارية

لقد أصبح من الصعوبة بمكان التعرف إلى الطبيعة الحقيقية للعلاقات التبادلية لانواع الوقود وتحديد البدائل المتوفرة لقطر معين او منطقة معينة. لذا يفضل العمل من منطلق تحليلي شامل على اساس تحديد العناصر الاكثر ثباتا التي يمكن الاستفادة منها في عملية صناعة القرار

ويعد توازن سوق الطاقة المرحلة الاولى لهذا المنظور الشامل الذي يهدف الى وصف الوضع الحالي وتقسيمه الى الطاقة الاولية، والطاقة التحويلية، والطاقة الثانوية، والإستهلاك المفيد، وتكمن اهمية ذلك في بناء نظام للمعلومات يعتمد عليه

إن تحليل قطاع الطاقة المذكور أعلاه يبين قطاع الطاقة الكلية والعلاقات التبادلية بين القطاعات الفرعية ولكنه لايتضمن تحليلا اقتصاديا على المستوى الكلي في عملية اختيار



استراتيجيات هذا القطاع. إن الرابطة الوحيدة مع المستوى الكلي للإقتصاد التي يعترف بها بوضوح هي الأثر على الحساب الجاري لميزان المدفوعات الذي يتأثر بأسعار النفط المستورد ، هذا النوع من التحليل مهم ومناسب للعديد من الدول النامية المستوردة للنفط خاصة تلك الاقتصاديات التي يلعب قطاع الطاقة فيها دوراً مركزياً سواء لإيرادات الحكومة من عوائد الصادرات او كقطاع يتطلب موارد استثمارية مهمة نسبة الى حاجات استثمارية اخرى

وفي الدول النامية حيث قطاع الطاقة هو إما قطاع إنتاجي مهم (مثل الدول النامية المصدرة للنفط والدول المكتفية ذاتياً بالنفط) أو هو بحاجة إلى استثمارات كبيرة نسبيا (مثل الدول النامية المصدرة للنفط وبعض الدول النامية المستوردة له)، فإن سياسة تشكيل الطاقة تتبلور وفق مستويات تحليلية اعلى لفهم الروابط المهمة والآثار التي تسببها سياسات الطاقة البديلة على الاقتصاد الكلي فيما يعرف بالتحليل المتكامل للطاقة والاقتصاد الكلي ويجب أن يتصف بالخصائص التالية :

* تقسيم قطاع الطاقة الى الانتاج ، والأستهلاك ، والتجارة الخارجية والأستثمار ، والتدفقات المالية
* التجزئة القطاعية على جانب العرض
* القدرة على تقويم مضاعفات الميزانية لسياسات الطاقة البديلة
* الاعتراف بأثر إعادة تخصيص التدفقات الادخارية والاستثمارية بين قطاعات الاقتصاد
* تجزئة ميزان المدفوعات وحسابات الدين الخارجي مع تدفقات قطاع الطاقة .
* إيجاد آلية تسعيرية تعترف بالآثار التضخمية لتكلفة الطاقة
* حوافز السياسة المالية والنقدية ومعدلات التبادل التجاري العادية
* القدرة على تقويم اثار سياسات الطاقة البديلة
* القدرة على التعامل مع التطورات طويلة الأجل وكذلك التطورات قصيرة الأجل

لهذا فان عملية تخطيط الطاقة في الدول النامية يجب أن تخاطب قضايا على ثلاثة مستويات مختلفة هي .

الأول : سياسات الطاقة القومية فيما يتعلق بالأهداف الأقتصادية الكلية ، على سبيل المثال : استثمارات الطاقة نسبة إلى استثمارات القطاعات الأخرى. ودور أسعار الطاقة في الأقتصاد ، والآثار على ميزان المدفوعات ، وحجم الاقتراض الخارجي لتطوير قطاع الطاقة ، والآثار على النمو الاقتصادي نتيجة سياسات الطاقة المختلفة

الثاني : العلاقات بين القطاعات الفرعية المختلفة داخل قطاع الطاقة ، بما فيها معدلات تطوير النفط والغاز مقابل تطوير الفحم ، ومعدلات النفاد لاحتياطيات الوقود الأحفوري وإدارة الطلب

الثالث : السياسة المثلى داخل نطاق كل قطاع فرعي ، مثل التوسع المناسب لنظام توليد الكهرباء، أو زيادة الطاقة الانتاجية لمحطة تكرير نفطية



تخطيط انظمة الكهرباء

لسنوات عديدة كانت الفكرة الأساسية لتخطيط انظمة الكهرباء هي الوصول الى الخطة التوسعية الأقل كلفة لمواجهة الطلب حتى أنتهاء فترة التخطيط ، والتكاليف المنخفضة تتضمن الاستثمار ، ونفقات التشغيل ، وتكلفة الفرصة المضاعفة لعدم مواجهة بعض الطلب

فالطلب ليس عديم المرونة تماماً كما يُفترض في العادة في عملية التخطيط . وحيث أن هيكل التعرفة المثلى المعتمد على التكلفة الحدية طويلة الأجل دالة في الخطط التوسعية فإن هناك حاجة لعمليات تخطيط متكررة تكون فيها الأسعار والأستثمارات البديلة مثالية



والقيود المالية لمحطات الكهرباء في العادة تجعل من المستحيل مواجهة الطلب المتوقع بتكاليف منخفضة ، وهذه القيود تتطلب الاهتمام بالخيارات التي ربما تتضمن تغييرات في العرض والطلب

وهناك حالات عدم تأكد أخرى تتعلق بالافتراضات التي تتشكل بناء عليها الخطط التوسعية ، وتتطلب اتجاها يعتمد على سيناريوهات متعددة في عملية التخطيط ، وحالات عدم التاكد هذه ربما تشمل أسعار الوقود ومعدلات الفائدة والظروف الجيولوجية والنشاط الاقتصادي

المخاطر وعدم التأكد في تحليل السياسات

يواجه مخططو أنظمة الطاقة الكهربائية تحديا يتمثل في تحديد نوع الاستثمارات الرئيسة وتوقيتها تحت ظروف متغيرة مثل توقع التوجهات المستقبلية لمؤشرات التخطيط الرئيسة كالطلب على الكهرباء ، والتكاليف الرأسمالية ، وأسعار الوقود العالمية ، وأسعار الصرف الأجنبية وتتراوح نسبة الاستثمار في قطاع الكهرباء في العادة ما بين ١٥ / الى ٢٥ من برنامج الاستثمار العام للدولة ، ويعد أحد المكونات الرئيسة لمشاكل الدين الخارجي في العديد من الدول النامية ، والفشل في مطابقة قريبة معقولة لبرنامج تطوير الكهرباء مع أسلوب التكلفة الفعلية طويلة الأجل لمقابلة الطلب على الكهرباء يفرض جزاءات على شكل تكلفة مهمة على الاقتصاد المضيف ، ان مخاطر تضمين مثل هذه الجزاءات لايمكن تجاهلها في التخطيط القومي لأنها تؤدي الى التشويش على تطبيق السياسات الاقتصادية الكلية للاستثمار العام والتسعير وميزان المدفوعات ونمو القطاعات الاقتصادية المنتجة

وتضيف الحالات غير المؤكدة في العديد من أوجه التخطيط الكثير من التعقيد الى عملية اتخاذ القرار ، حيث أن خصائص تطوير الأنظمة الكهربائية تجعل هذا القطاع سريع التأثر بشكل خاص للتخطيط في مثل هذه الظروف، وفي العادة تكون الاستثمارات في توليد الكهرباء وأجهزة النقل كبيرة وتنفذ على فترات مختلفة ، والمشروعات الكبيرة من بدايتها الى نهايتها غالبا ما تتطلب فترات تطبيق تتراوح ما بين ٥ الى ١٢ سنة وتعتمد على توقعات طويلة الأجل للظروف الاقتصادية المستقبلية وعلى بيانات من ميادين متنوعة مثل الجيولوجيا والهيدرولوجيا والهندسة المدنية والالكترونية لتبرير مثل هذه المشروعات

تكاليف التسعير العالية

إن المخاطر المتوقعة هي فشل القرارات المتخذة في بيئات تكون فيها الحالات غير مؤكدة ، وعناصر المخاطرة فيها ذات أبعاد اقتصادية كلية عديدة منها :

- الاستثمار الزائد في العرض يؤدي الى تراكم دين كبير - يسبب ضغطا على ميزان المدفوعات - ويحتمل ان يسبب ضغطا على اداء القطاع المالي العام
- الاستثمار القليل في العرض يسبب اضطرابات اقتصادية للقطاعات الانتاجية وخسارة في العوائد لعدم مقابلة الطلب . والتكاليف بالنسبة للقطاعات الانتاجية مهمة بشكل خاص لأنها قد تعني تخفيض الانتاج ، وتكاليف إنتاجية عالية ، ومواد معطوبة ، وبالتالي لاتشجع على مزيد من الاستثمار
- ان اختيار مزيج التوليد شبه المثالي حتى لوتمت مقابلة الطلب بشكل معقول فإنه يتضمن تخصيص غير كفؤ للموارد وبالتالي تكاليف أكبر

بالاضافة إلى ذلك فإن مخاطر الفشل في تطوير قطاع الكهرباء هي التي تقرر أن عوائد مشروعات الكهرباء ترتبط بشكل كبير مع النمو في الدخل القومي .

حفظ الطاقة الكهربائية وادارة الطلب

ان إنتاج الكهرباء في الدول النامية يتزايد بشكل سريع ، فقد تراوح معدل النمو حول ٩٪ سنويا خلال الفترة مابين عامي ١٩٧٠ و ١٩٨٠م، وحوالي ٧٪ سنوياً مابين عامي ١٩٨٠م و١٩٨٦م، وقد تم انتاج حوالي ٢٠٠٠ طن وات / ساعة في الدول النامية عام ١٩٨٦م اي ما يقارب ٢٠ ٪ من إنتاج العالم قاطبة من الكهرباء .

ان التوسع السريع في انتاج الكهرباء أمر مكلف، فبوجود نمو اقتصادي متواضع فإن الدول النامية قد تحتاج الى أن تستثمر مبالغ طائلة في انتاج الكهرباء خلال العشرين سنة القادمة ، أخذين بعين الاعتبار أعباء الديون العالية والصعوبات المالية التي تواجهها الدول النامية ، التي تعاني حاليا كثير منها من نقص في الطاقة الكهربائية ، حيث بدأ النمو في الطلب يسبق القدرات التوليدية بمقادير كبيرة .

ويساعد ترشيد استهلاك الكهرباء العملاء على التأقلم مع زيادات التعرفة الكهربائية ، ففي العديد من الدول النامية عادة ما تكون الكهرباء والتعرفة الكهربائية اقل من التكلفة المتوسطة والحدية ، ومن خلال تخفيض إستهلاك الكهرباء أو تخفيض معدلات النمو فإن حفظ الطاقة الكهربائية يمكنها أن تخفض من فاتورة الكهرباء الكلية بينما تقرر الزيادات الضرورية في التعرفة الكهربائية

إن حفظ الطاقة الكهربائية له آثار بيئية إيجابية لأن المنشآت الهيدروكهربائية يمكنها أن تغرق مناطق واسعة من الارض وعادة ما يصاحبها خلل في التوطن ، وكذلك فقدان في الموارد الطبيعية ، ومحطات توليد الكهرباء التقليدية التي تعمل بحرق الفحم تعتبر من أسباب تلوث الهواء الخطيرة وتعاني من مشاكل الأمان ومن مشاكل التخلص من النفايات ايضا

إن تحسين الكفاية في أية واحدة من مكونات النظام الكهربائي ربما يكون له مضاعفات في القطاع الفرعي ومن ثم على قطاع الطاقة ، وأخيرا على الاقتصاد ككل ، وقبل تقويم التوفيرات الممكنة في قطاع الكهرباء فإنه من الملائم تقسيم الأنظمة الكهربائية من وجهة نظر قومية الى العرض والطلب ، ونظام الطلب يمكن تقسيمه بغض النظر عن الخصائص القطاعية للمستهلك الى الاضاءة ، والمحركات الكهربائية، وإنتاج الحرارة، والتبريد، .. الخ وعلى المستوى القومي يمكن الاقتصاد في الطاقة فراغ عامة والطاقة الكهربائية بشكل خاص عند كل واحدة من مكونات النظام الكهربائي، ولذلك فان الاستخدام الرشيد للكهرباء عند مستوى الاستهلاك النهائي بالأضافة لبرامج تخفيض الفقد الكهربائي وادارة الطلب وتحسين جاهزية المصانع بمجموعها يمكن لكل ذلك أن يؤدي الى زيادة ذات أهمية كبيرة قد تدعو الى الدهشة أحياناً ، وتؤدي إلى تحسين جاهزية الطاقة الانتاجية ، وتخفيض استهلاك الوقود مع المحافظة على نفس المستوى من الفوائد الأجتماعية والاقتصادية لاستهلاك الكهرباء ، مما يترتب عليه



أرامكو السعودية

انخفاض استخدام الطاقة الاولية وتأجيل الحاجة الى الأستثمارات في قطاع الكهرباء وتحرير موارد مالية نادرة من التزامات سابقة يمكن تخصيصها لقطاعات أخرى وفقا لأولويات التنمية الاقتصادية مما يقلل من مشاكل الوقود بسبب انخفاض الطلب عليه وبالتالي تخفيف الضغط على ميزان المدفوعات لكل من الدول المستوردة والدول المصدرة للنفط . إن تنفيذ برامج كافية شاملة لقطاع الكهرباء يمكن أن يكون له آثار إيجابية على قيم معدلات راس المال والانتاج بشكل عام اذا اعتبرت هذه المعدلات مؤشرات على الكفاية في التخصيص القطاعي للموارد ■

الفَقْع

نبتة الصحراء الغريبة

بقلم : محمد همام فكري - قطر



يقدر أبناء الجزيرة العربية قيمة «الفقع أو الكمأة» باعتباره غذاء له منزلة خاصة في نفوسهم، ويعدونه سيّد موائدهم العامرة دون منافس. وينتظر عدد كبير منهم فصل الشتاء الذي ارتبط في أذهانهم بموسم الفقع حيث يخرجون إلى مواطنه بحثا عنه، ويجدون لذة كبيرة في جمعه، ويدربون صغارهم على استكشافه وتعقبه في التشققات التي تحدثها ثماره المكتملة في التربة البكر، عندما تنبثق الثمرة من مخابئها، محدثة «تفقع» للقشرة الرقيقة من التربة. تتلقفها الأيدي المتلهفة للفوز بفرحة لايقدرها إلا من عايش تلك اللحظة، ولأن «الفقع» له منزلة خاصة في ذاكرة أبناء المنطقة، خاصة ذلك الجيل الذي تعايش مع بيئته الفطرية في سلام فقد أغدقت عليه تلك البيئة من خيراتها فأكل وتداوى. لقد عاشت تلك النبتة مع آلاف الأنواع النباتية والحيوانية، لكنه عندما أعرض عنها تحولت عنه ولم يبق إلا الذكرى، تداعبه بين الحين والآخر.

عائلة الفطريات :

نحاول هنا أن نقترب من «الفقع» اقتراباً خاصاً، نقدم من خلاله معلومات أساسية حول هذا الفطر الذي نأكله ونتذكر أيامنا معه في البر. إن الفقع ينتمي إلى مملكة الفطريات التي استقلت مؤخراً عن عالم النبات وفقاً لتقسيم حديث، لتحتل مكانه متميزة وتشغل في مجموعها مملكة قائمة بذاتها ضمن ممالك الكائنات الحية. فالفطريات Fungi كائنات حية تشاركنا الحياة على هذا الكوكب ولطالما جذبت اهتمام الإنسان منذ قديم الزمان، لأنها كثيرا ما هاجمته وكثيرا ما اعتدت عليه وعلى غذائه، فهي من اكثر الكائنات الحية انتشاراً لاينافسها في ذلك إلا البكتريا، وتعيش في مستعمرات فطرية Fungal Colonies وتزاحمنا الهواء الذي نستنشقه، والماء الذي نشربه والتربة التي تتغذى عليها والنباتات التي نأكلها، وتهاجم الحيوانات والنباتات الحية، والميتة أيضاً وتتطفل Parasitic على بعضها وتتكافل Symbiotic مع بعض الكائنات الحية الأخرى ومنها ما يترمّم Saprophytic على المادة العضوية. ولولا قانون التوازن الحيوي الذي جعله الله حاكماً عادلاً بين الكائنات لتحول كوكبنا إلى مستعمرة فطرية

والفطريات مثلما هي ضارة لها فوائد كثيرة، إذ يكفي أنها تشترك مع البكتريا في تحليل المواد العضوية التي توجد على سطح الأرض فتخلصها من هذه المواد التي لو تراكمت حولنا لحولت أرضنا إلى كوكب للنفايات، ولقد أماط العلم اللثام عن العديد من الأنواع التي لها خاصية إفراز مواد تستعمل مضادات حيوية وعقاقير طبية. بالإضافة إلى تلك الأنواع التي يأكلها الإنسان بشكل مباشر وعددها يزيد عن الألف نوع كما هو الحال في الفقع الكمأة Truffles وعيش الغراب Agaricus ومورشيلا Morchella esculenta، والفوشنات Morels. وهذه الفطريات منها ما يكون جسمه الثمري تحت التربة، ومنها ما يظهر جسمه الثمري فوق سطح التربة

«فالفطريات عالم قائم بذاته وينضوي تحت لوائه حوالي مائة ألف نوع من الفطر، والأنواع تتجمع تحت أجناس، والأجناس تضمها عائلات، والعائلات لها رتب، والرتب تقع في أربعة أقسام كبيرة»[1]

والفطريات كائنات حية بسيطة لا تتمايز عضويا، ليس لها جذر أو ساق أو أوراق، كما هو الحال في النباتات الراقية. وعلى الرغم من وجود شبهة في انتمائها إلى عالم النبات إلا أنها تفتقر إلى الكلوروفيل Chlorophyll الذي هو بمثابة هيموجلوبين الدم الذي يجري في خلايا النبات جري الدم في خلايا وعروق الإنسان و على الرغم من كونها لاتستطيع أيضا أن تتغذى تغذية ذاتية إلا انها تتماس مع عالم النبات وعالم الحيوان في بعض الخصائص



أرامكو السعودية

[illegible]

الفقع، فطر أرضي :

ينتمي الفقع إلى فطريات SAC، وهي فطريات أرضية تنمو في صحراء شبه الجزيرة العربية، كما تنمو أيضاً في أوروبا، لكنها في البلاد العربية تحتل مكانة خاصة، فهي من ألذ الفطريات التي تؤكل في شبه الجزيرة العربية، بل إن الفقع هو طعام أبنائها الفاخر، لأن معظم سواحل الدول العربية الأخرى التي ينمو فيها (مصر، سورية، ليبيا، تونس، الجزائر، المغرب) لاينزله أبناؤها المنزلة التي يحتلها على الموائد العربية في شبه الجزيرة العربية، والخليج العربي، ففي هذه المناطق يأكلونه مسلوقاً أو مقلياً أو مجففاً مسحوقاً عندما يضاف إلى بعض الأطعمة ليكسبها نكهة خاصة ورائحة معينة

ويضع العلماء الفقع في قسم الفطريات الحقيقية Eumycophyta من مملكة الفطريات أو بالإنجليزية True Fungi عن طريق انتمائه إلى فطريات زقية Ascomycetes أو Sac Fungi وهي طائفة من أكبر طوائف الفطريات وتشمل على الأقل حوالي ٣٠٠٠٠ نوع تتباين تبايناً كبيراً في حجمها.


أرامكو السعودية

ندرة الفقع وقصر موسمه جعلا أسعاره باهظة



وتركيبها وتغذيتها، وتكاثرها ولعدد كبير منها أهمية إقتصادية كبيرة في الصناعة والزراعة، كما أن لبعضها قيمة فائقة من الناحية الطبية[٣]، وهذه الطائفة تتشكل أبواغها المنصفة بعد الألقاح النووي مباشرة ضمن كيس بوغي يدعى Sac، وتجتمع الجراثيم الزقية في عضو خاص يدعى الثمرة Ascocarpe وهناك نماذج متعددة منها المغلفة Cleistothecium، وتتخذ هذه الثمار أشكال عديدة منها الكروي والقرصي والقاروري

الوسمي : سر الفقع :

يعرف أبناء شبه الجزيرة أن السر وراء ظهور الفقع هو نزول المطر في الوسمي وجاء في التقويم القطري لعام ١٩٩٤م أن حصته من السنة شهران (١٥ تشرين الأول إلى ١٥ كانون الأول)، ومنازله أربع منازل وثلثا منزلة، وهي : العوي، والسماك، والغفر، والزبانا، وثلثا الاكليل. ويعد شهر تشرين الأول (أكتوبر) وهو أول أشهر الخريف أفضل مواسمه حيث تكون الرياح خفيفة نسبياً ومتغيرة الاتجاهات، كما ينزل المطر أحياناً مبكراً، في وقت تكون الحرارة مرتفعة، وغالباً ما تكون الأمطار في هذا الموسم ناتجة عن عواصف رعدية، وإذا ما اجتمعت ظروف وفرة الماء وارتفاع الحرارة، نبتت الأبواغ، لتعطي خيوطا فطرية، وترتبط الخيوط بأنواع نباتية معينة، ومن أشهرها نبات الرقروق Helianthemum Lippii الذي ينمو في صحاري الوطن العربي، ومنه أنواع تنمو في بيئات مختلفة، ما بين رملية عميقة، أو حصوية ضحلة او حجرية، ونمو الكماة الفقع بعد موسم العواصف الرعدية، دعا العرب لتسميتها نبات الرعد[٤]

علاقة الفقع بالرقروق :

ان علاقة الفقع بنبات الرقروق علاقة شائكة علميا، وعلى الرغم من ذلك أجمع عدد من بدو شبه الجزيرة بأن الفقع يلازم نبات الرقروق حديث السن ويدعونه (رقا)، أي بادرة صغيرة جديدة نامية عن بذرة، وليس الرقروق الكبير الذي مرّ عليه حول أو أكثر، وتقوم علاقتهما على ما يسميه العلماء بعلاقة التكافل Symbiotic كما أن الشرط الرئيس لنمو الفطر هو هطول أمطار الوسمي في آخر جني الرطب في أواخر شهر أكتوبر وهي أمطار رعدية قد تسقط عندما يظهر طالع الثريا حيث تكون درجة الحرارة ما تزال مرتفعة نسبياً، مع توالي هطولها لمرة تالية او لمرتين حتى يتوفر لبادرات النبات النمو الكافي أي يشتد عودها، لأن نمو الفقع مرهون بدرجة حرارة معينة وتساقط الأمطار الرعدية وما يتلوها، كما أن نموه يكون في تربة كلسية من أصل جيري بها بذور نبات الرقروق فينمو الرقا ومعه تنمو جراثيم الفطر المختبئة في التربة ويرتبطان ارتباطاً وثيقا عن طريق الحبل السرّي الذي يرسل الخيوط الفطرية إلى جذر النبات في علاقة جذور فطرية Mycorhizal[٥]، حيث يمتص الفطر الغذاء الذي يعجز عن تكوينه منفردا من جذور النبات عن طريق ممصات تخترق أنسجة النبات، ويتكافل مع النبات معطيا إياه بعضاً من العناصر المعدنية التي حصل عليها من التربة.

غذاء ودواء :

يعرف البدو قيمة الفقع كغذاء ودواء، فعندما تظهر بادرات الرقروق (رقا)، يبتهج البدو ويتتبعونه ويقولون «إذا رهنت الرقا انتبه للفقع». لأنه يؤكل ويتداوى به، وينادي البدوي ابن الصحراء أبناء جلدته قائلا : اجمع الدوا .. اجمع

الدواء، لكنه يفضل الجراد عليه في العلاج».

ولاندري لماذا فاضل البدوي القديم بين هذين الكائنين، فقد كشف العلم الحديث عن وجود علاقة بينهما في وجود مادة الكايتين Chitin التي يتكون منها جدار خلايا كل من الفطر والجراد. كما أن البدوي يعتقد أن الجراد الذي يأكل من كل نبت يحتوي على فوائدعلاجية تفوق قدرة الفقع الذي هو من وجهة نظره نبت واحد. فهو أنفع له كغذاء وفي الحديث النبوي ورد ذكره في صحيح البخاري، فقد ورد عن سعيد بن زيد (رضي الله عنه) قال: «سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : «الكمأة من المن، وماؤها شفاء للعين».

ويميّز بدو الجزيرة العربية أنواعاً عديدة من الفقع منها الزبيدي والخلاسي والجبية والهوبيري

سلالات الفقع :

جميع سلالات الفقع تنمو تحت سطح التربة، وعندما يتضخم الجسم يحدث تفتق في قشرة التربة حيث يبدو جزء منها، وقد ذكر العلماء منها السلالات التالية :

** Terfezia Claveryi

وهي الكمأ الأبيض، ومن أسمائها : كماة - الفقع (فقعة وأفقع وفقوع، وسميت كذلك لأن كل ما تفقعت عنه الأرض من غير أصل ولابقل ولاثمرة فهو فقع) - كوكب الأرض - قُرحان (ضرب من الكماة أبيض، الواحدة قرحانة)

** Terfezia vittad

ضرب من الكماة، ينبت مستطيلاً كأنه عود له رأس، فإذا يبس تطاير، ومن أسمائه، فسوة الضبع - قعبل

** Terfezia Magnatum

ضرب من الكماة، صغيرة الحجم تميل إلى الغبرة والسواد، وتسمى نبات أوبر، ويقال أنها رديئة الطعم.

** Terfezia melanosporum

ضرب من الكماة، أسود اللون، وهي الجباء السود والواحدة جباة وهذه غير الجبأة.

** Terfezia michell

ضرب من الكماة يسمى العساقل والعساقيل، وهو أكبر من الفقع وأشد بياضاً واسترخاء، ولونها بين البياض والحمرة، الصغار منها وتسمى (الغردة والمغرودة والمغرود والغراد).

** الكمأة الحمراء Terfezia rufum

يصف العرب الكمأة حسب لونها وشكلها فمنها الزبيدي والخلاسي وغير ذلك[٦]

وقد سجل الدكتور عبد العال مباشر نوعين في دولة قطر هما Terfezia caveryi الفقع الخلاسي الأسمر، والخلاسي كما جاء في الصحاح هو الذي يولد من والدين أحدهما أبيض والثاني أسود، والفقع الزبيدي (الأبيض) Tirmania nivea و كلمة nivea تعني الأبيض الثلجي في اللغة اللاتينية[٧]

يرتبط الفقع بنبات الرقروق ارتباطا وثيقا عن طريق خيوط فطرية تربط بين جذورهما

استزراع الفقع :

على الرغم من صعوبة استزراع الفقع فقد حاول عدد من الباحثين ذلك بالنسبة لسلالة الزبيدي (الأبيض)، وذلك باختيارهم لمنطقة معروفة بنمو الفقع تحتوي على نباتات الرقروق، حيث قام الباحثون بمحاكاة الطبيعة بإسقاط مطر صناعي وتكرار ذلك في نهاية شهر أكتوبر، وهي الفترة التي تسقط فيها أمطار الوسمي، وكانت النتيجة نمو عدد من ثمار الفطر، ولكنها لم تكن من وجهة النظر الإقتصادية مربحة، وما يزال الباحثون يجربون، فقد أجريت عدة محاولات في دولة قطر (محمية الوبرة)، كما أجريت في دولة الإمارات العربية المتحدة تجربة واسعة قد تعطي نتائج أفضل، ونعتقد أن العلم لن يكف عن المحاولات حتى يصل إلى عوامل ضبط أفضل وبالتالي إلى نتائج أفضل

وأخيراً، فإن الفقع، وهو من الفطريات اللحمية التي تؤكل، ذو قيمة غذائية، لما يحتويه من بروتينات وكربوهيدرات، ففيه من البروتين بأحماضه الأمينية ما نسبته ٥ ٧٪ ومن الدهون ٥ .٠٪ أما المواد الكربوهيدراتية فتصل نسبتها إلى ٥ ٨٪ والنسبة الباقية ٧٧٪ فهي ماء علاوة على ما يشكله الفقع من قيمة طبية ما يزال العلم الحديث يحاول التعرف إلى أسراره وسوف يكشف عن أسرار جديدة تزيد من المكانة التي يحتلها في مملكة الفطريات من جهة وفي نفوس أبناء شبه الجزيرة والخليج العربي من جهة أخرى ■

المصادر :

١ - صالح، دكتور عبد المحسن الفطريات والحياة، المكتبة الثقافية، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٧م، ص ١٩

٢ - فولار، آخرون عالم النبات القسم الثاني، ترجمة قيصر نجيب وآخرون، قسم علوم الحياة، كلية العلوم، جامعة الموصل، ب ت ص ٦١٨

٣ - أنور الخطيب، دكتور التكاثر النباتي في الزمر النباتية، مطبعة العلمية، دمشق ط١، ١٩٧٢م ص ٩٦

٤ - البتانوني، دكتور كمال الدين حسن، نباتات في أحاديث الرسول، الطبعة الأولى ١٩٨٦م ص ١١٥ - ١١٦

٥ - مباشر، دكتور عبد العال حسن المنتدى العلمي، العدد الثاني، يونيو ١٩٩٣م، ص ١٨

٦ - البتانوني، كمال الدين حسن نباتات في أحاديث الرسول، الطبعة الأولى ١٩٨٦م، ص ١١٧-١١٨

7 - A.H. Mobasher 1993: Soil Fungi in Qatar and Other Arab Countries, The Scientific and Applied Research Centre, University of Qatar.

حين تشرق الشمس على سيناء

تقع شبه جزيرة سيناء في الجزء الشمالي من البحر الأحمر بين خليج السويس غربا وخليج العقبة شرقاً والبحر الابيض المتوسط من ناحية الشمال. ويعتقد بأن اسم سيناء جاء من أسطورة لها علاقة بالقمر «سن» وتقدر مساحة سيناء بحوالي ٥٩٦٠٠ كيلو متر مربع ويصل أقصى ارتفاع لها حوالي ٢٦٣٧ متراً عند جبل طور سيناء في الجنوب.



وسيناء جزء من أفريقيا ويقدر عمرها الزمني بحوالي ٤٫٦ بليون إلى ٥٧٠ مليون سنة. ويبلغ الإنحدار في سيناء باتجاه البحر الأبيض المتوسط حوالي ٩٠٠ متر ويبلغ الارتفاع عن الجنوب وهو ما يعرف بجبل موسى حوالي ٢٢٨٦ مترا

الطقس :

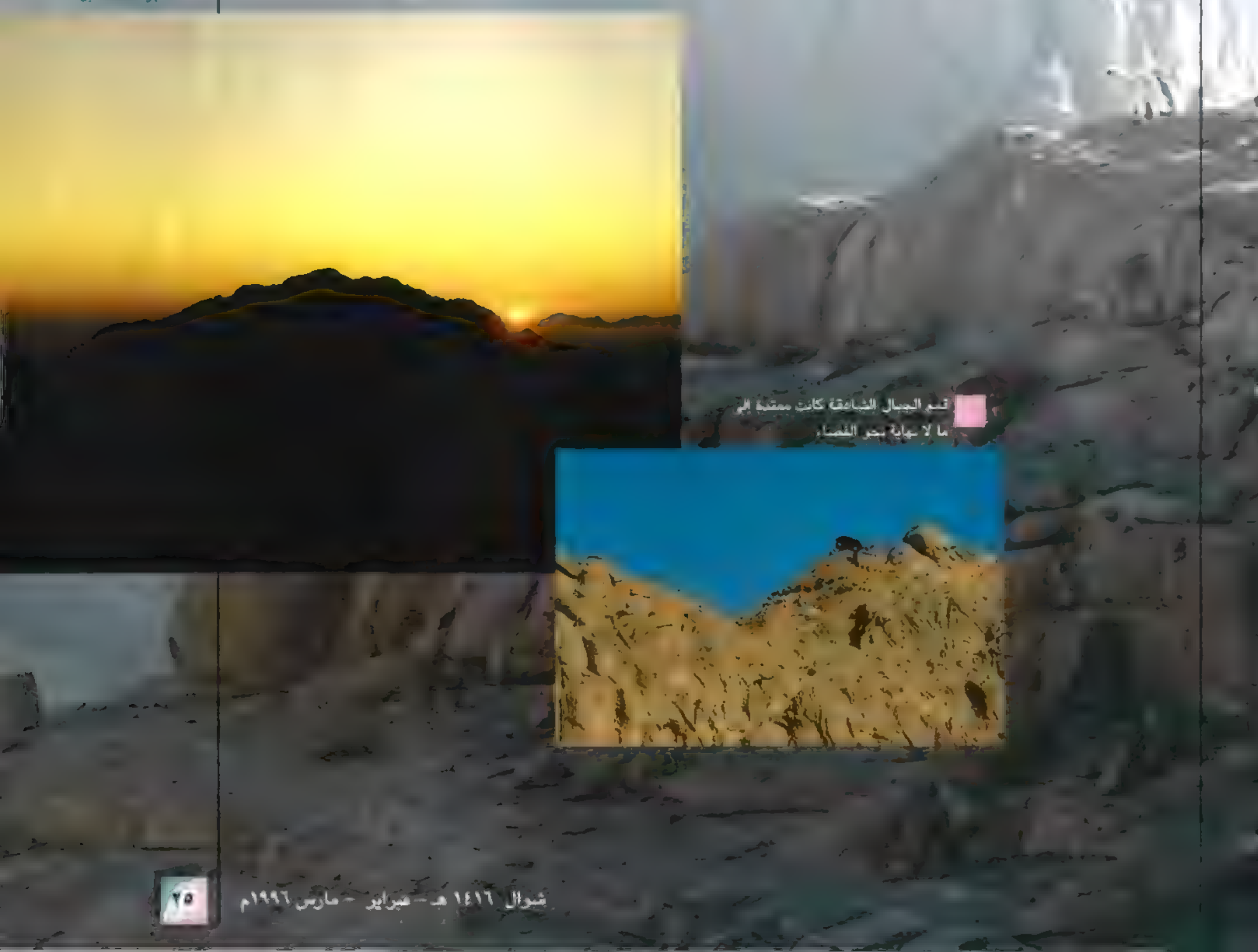
طقس سيناء حار إذ تتراوح درجات الحرارة بين ٢١ إلى ٢٧ درجة مئوية وتبلغ نسبة الأمطار فيها ٢٤٥ ملليمترا سنويا، والزراعة فيها قليلة والحيوانات نادرة، وقدرت الاحصاءات في عام ١٩٧٧م عدد سكان سيناء من البدو الرحل بحوالي ٥٥٠٠٠ شخص.

زيارة تاريخية :

في كتاب بعنوان زيارة إلى سيناء يذكر «ارنولد فون هارف» أنه مع مجموعة من المسافرين قد قاموا برحلة إلى سيناء بدأوها من القاهرة، في شهر يوليو قبل ما يقرب من خمسمائة سنة. وكان عدد المسافرين حوالي ٤٠٠ شخص، وكانوا جميعاً متوجهين إلى سانت كاترين، على الجمال

وحسب وصف الكاتب للرحلة، يقول بأنه لم يكن هناك شيء يذكر غير الرمال الممتدة إلى ما لانهاية حيث لايمكن لإنسان أن يعيش هناك نتيجة للارتفاع الشديد في درجات الحرارة. كما أنهم لم يتمكنوا خلال رحلتهم من العثور على بلدة أو قرية طوال الطريق ولم يشاهدوا حقلاً ولا بستاناً ولا أشجاراً، لاشيء سوى الرمل الصحراوي المحروق بأشعة الشمس الملتهبة والجبال والوديان التي أمتعت المسافرين بتركيباتها الصخرية الأخاذة .

ويضيف «أرنولد هارف» أنهم على مسافة بعيدة، وجدوا بئراً مالحة، ملؤا قربهم منها وواصلوا رحلتهم فوق الجمال. كان المسافرون يقضون الليالي في أماكن مفتوحة أو قريبة من الجبال، ومشوا حتى أصبحوا بمحاذاة البحر الذي كان إلى يسارهم. وخلال الأيام الثلاثة الأخيرة وجد المسافرون



كانت الشمس في شروقها كالمولود الجديد تظهر بعد صبر جميل

قمم الجبال الشاهقة كانت ممتدة إلى ما لا نهاية بجو الفضاء

بعض جيف الحيوانات البرية التي ماتت من العطش وقلة الطعام، كما مات عدد من الذين كانوا في الرحلة ذاتها لنفس الأسباب. بل لم يكن هناك مجال لإنقاذ انصاف الموتى الأمر الذي جعلنا نشعر بالمرارة والحسرة، اللتين رافقتا المسافرين طيلة عشرة أيام وهي الفترة التي استغرقتها الرحلة. أما جبل كاترين فقد تسلقه المسافرون بكثير من المشقة والعناء فقد كانت الجمال منهكة لدرجة أنها لم تمتلك القدرة على حمل الرجال.

رحلة «القافلة» إلى جنوب سيناء :

بدأت رحلة «القافلة» إلى جنوب سيناء في الرابعة فجراً من أحد أيام شهر مايو، حيث أقلتنا الطائرة من مطار القاهرة إلى مطار شرم الشيخ وقطعت المسافة في خمسين دقيقة، وما أن حطت الطائرة على الأرض حتى تملكنا شعور بطغيان الصحراء وهيمنتها على المكان، إذ كانت الجبال تحيط بالمطار من جميع الجهات تقريباً وكانت الأرض قاحلة كذلك

تقع شرم الشيخ عند الطرف الجنوبي من سيناء حيث تشرف على الملاحة في مضيق تيران وتبعد ٣٠٣ أميال من القاهرة، وشرم الشيخ عبارة عن بلدة صغيرة ومنتجع في الوقت ذاته. وهي تتميز بشاطئ يعد من أفضل أماكن الغطس، يرتاده السيّاح من مختلف مناطق العالم خاصة الدول الأوروبية من أجل إكتشاف جمال الشعاب المرجانية تحت الماء.

وقبل أقل من عقد من الزمن لم يكن بالإمكان الوصول إلى شرم الشيخ بالسيارة، وحتى سنة ١٩٨٦م كان يمكن للرحلة أن تستغرق يوماً كاملاً. أما الآن فتستغرق الرحلة من القاهرة إلى شرم الشيخ من أربع إلى خمس ساعات فقط، نظراً لوجود الطرق المعبدة. والحقيقة أن الطريق المعبدة التي تحاذي الشريط الساحلي من الجهة الجنوبية على البحر الأحمر تمر بالعديد من البلدات المحاذية للشاطئ، مما يجعل الطريق أكثر أمناً وسلامة، ويمكن رؤية بعض المستوطنات القديمة في الواحات الواقعة عند سفوح الجبال وعلى امتداد الطريق المؤدّي إلى شرم الشيخ.

وهذه المدينة وما جاورها من القرى يؤمها المسافرون الذين يعشقون القيام بمغامرات غير عادية حيث يمكنهم التزحلق على التلال الرملية وسياقة الدراجات النارية أو قيادة السيارات على الرمال والغطس في المياه الصافية على سواحلها والسواحل الأخرى في سيناء. ويعمد الكثير من زائري شرم الشيخ إلى قضاء بضع ليال من مدة سفرهم بإقامة المخيمات تحت السماء الصافية المرصّعة بالنجوم اللامعة.

يعدّ رأس محمد أفضل مكان طبيعي للغطاسين الماهرين والمتمرسين في هذه الرياضة، وقد التقينا هناك عدداً من الذين جاؤوا للاستمتاع بالمناظر الجميلة تحت الماء، وحدثونا عن الحياة البحرية الرائعة وكيف أمكنهم رؤية مساحات واسعة من الشعاب المرجانية، وأعداد من الأسماك المتنوعة، ذات الألوان

الزاهية، التي كانت تتراقص أمامهم محيّية أياهم أو هاربة من أمامهم.

ولأن هذه المنطقة تحتوي أنواعاً نادرة من الشعاب المرجانية ومنعاً للآثار السلبية لنشاط الإنسان في تلك الطبيعة، فقد حولتها منظمة اليونسكو إلى متنزه وطني ضمن المناطق الطبيعية المحمية في العالم سنة ١٩٨٥م. وقد تم ذلك بعد أن تمكنت إحدى عالمات البحار في جامعة ميريلاند الأمريكية من إقناع الحكومة المصرية بالحاجة إلى حماية راس محمد وجعله متنزهاً وطنياً خاصاً برياضة الغطس تحت الماء.

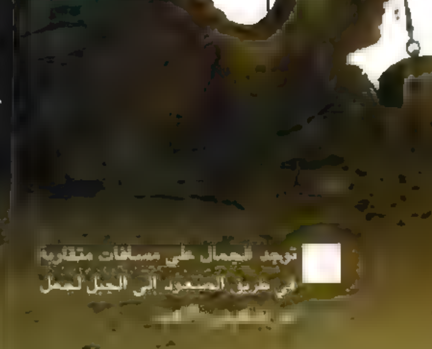
ولم تأخذنا الرحلة من شرم الشيخ إلى رأس محمد طويلاً، حيث استغرقت الرحلة حوالي ٤٥ دقيقة بالسيارة، أما بعض الذين كانوا معنا، فقاموا باستخدام المركب لرحلة بحرية جميلة من شرم الشيخ إلى رأس محمد، واستغرقت رحلتهم حوالي ساعتين. وقالوا فيما بعد بأن رحلتهم مكنتهم من اكتشاف المزيد من الأماكن حول طرف راس محمد المتصل بالصخور.

ويوجد هناك مراكز لتعلم الغطس تحت الماء، مجهزة بالمعدات الضرورية لتأمين رحلات بحرية للغطاسين في الأماكن القريبة. وعلى نفس الشاطئ تقع محمية رأس محمد البرية أيضاً التي تضم بين رمالها وأشجارها بيئة برية لعدد من الحيوانات التي تعيش في تلك الطبيعة مثل الغزلان والثعالب والماعز البري والطيور المهاجرة. وعندما كنا هناك، شهدنا كذلك أعمال تصوير مشاهد من فيلم يعرض مستقبلاً، وتم اختيار الموقع لجمال المنطقة وروعة المياه الزرقاء.

حملتنا إلى دهب طريق معبدة مكونة من مسارين، واقعة على شاطئ جميل يتميز برماله التي تعكس أشعة الشمس، وتشكل مع مياه البحر الزرقاء لوحة طبيعية رائعة الجمال. وعندما وصلنا إلى هناك، حاولنا كغيرنا خوض مغامرة صغيرة حيث سقنا السيارة مباشرة إلى الشاطئ، ولكن بعد التقاط العديد من الصور، لم نتمكن من اخراج السيارة من الرمال التي غرزت فيها العجلات، وهو كما علّق المصور ضريبة الصور الجميلة التي التقطها، ولكن لم يطل المقام بنا هناك طويلاً، إذ بعد عدة محاولات لحفر الرمل وإخراج العجلات جاء لمساعدتنا بعض السائحين الموجودين على الشاطئ، الذين لم يكن ضمن برنامجهم السياحي - بالتأكيد - العمل على إخراج سيارة من الرمال.



توجهنا بعد ذلك إلى منطقة أخرى من الشاطئ الجميل حيث تقع المناطق المخصصة للرياضة والاستراحات والمطاعم، وهناك شهدنا عرضا جميلاً للتزحلق على المياه بالألواح الشراعية، والحقيقة أن المتمرسين في هذا النوع من الرياضة يستحقون الإعجاب، لمهارتهم وقدراتهم على تسيير الألواح عكس الهواء الشديد والأمواج العالية. إن منطقة دهب هادئة وبعيدة عن كل ما يمكن أن يعكر راحة البال، فجميل أن يقضي



توجد الجمال على مسافات متقاربة في طريق الصعود إلى الجبل لحمل

الإنسان جزءا من وقته على شاطئ البحر حيث لايوجد حوله الا الماء والهواء وأشعة الشمس والجبال التي تحيط بالبحر

غادرنا شرم الشيخ في حوالي الساعة الحادية عشرة ليلا متوجهين إلى جبل موسى حيث كلّم الله عز وجل نبيه موسى عليه السلام في هذا الموقع. وقد تزود بعضنا بالماء والزاد وآخرون بالملابس الثقيلة وهناك من تزود بمصباح يعمل بالبطاريات. لقد استغرقت رحلتنا حوالي ثلاث ساعات ونصف الساعة تقريبا، في حافلة مكيفة ومريحة يرافقنا دليلان سياحيان من الشركة التي استأجرنا منها الحافلة

وصلنا إلى موقع الجبل في منتصف الليل وترجلنا، وكان يوجد أمامنا خياران لصعود الجبل، الذي يبلغ ارتفاعه ٢٢٠٠ متراً. الأول هو الصعود مشياً على الأقدام والثاني استئجار جمال للصعود. وكنا حين نتطلع إلى الأعلى نرى على ضوء القمر قمة الجبل الشاهقة. وتساءل الكثيرون منا هل سيكون بامكاننا تسلق هذا الجبل بالفعل ؟

استخدم معظم الذين كانوا معنا في الرحلة ذكاءهم، وركبوا الجمال، أما الذين كانوا يخافون ركوب الجمال في الظروف العادية فقرروا السير على الأقدام لارتقاء الجبل حتى لو لم يصلوا إلا في اليوم التالي ولم يدم ذلك طويلا إذ بعد ساعة من الزمن استأجر الجميع الجمال لحملهم من شدة التعب وصعوبة الطريق. وكانت الجمال تسير ببطء شديد وكان أصحابها يسوقونها بينما كانوا هم يصعدون على أقدامهم، والجمال موجودة على طول الطريق، لأن أصحابها يعرفون أن الذين يقررون الصعود على أقدامهم سيتعبون في لحظة ما ويطلبون جمالا لتحملهم إلى الاعلى

وخلال عملية الصعود للأعلى اشتد البرد، وكان محظوظا من احضر معه ثيابا ثقيلة، إذ عندما وصلنا المنطقة التي كنا سنرقب منها شروق الشمس (وهي لحظات يتكلم عنها القاصي والداني لما لها من سحر خاص) اشتد البرد لدرجة أن الجميع كان يرتجف. بعد ثلاث ساعات على الجمال التي حملتنا إلى الأعلى انتظرنا بعض الوقت حتى بدأ قرص الشمس البرتقالي في البزوغ خلف رمال الصحراء وكأن تلك الرمال الممتدة إلى ما لانهاية تلد ذلك القرص ببطء شديد

كان شروق الشمس مشهدا رائعا، كاد أن ينسينا البرد الذي كان يثلجنا، وما هي إلا لحظات حتى أشرقت الشمس تماما ، ثم بدأت أشعة الشمس القمحية تبعث الدفء شيئا فشيئا. قد يكون بإمكان أي شخص أن يشهد الغروب على شاطئ البحر أو على تلة مرتفعة بعض الشيء، ولكن صعود المرء هذه المسافة الشاهقة ومراقبته شروق الشمس أمر يبعث على الإثارة والدهشة

لم تكن المنطقة التي وصلنا إليها في جبل موسى وشهدنا منها شروق الشمس الرائع هي الأعلى، بل كان علينا مواصلة الصعود مشيا على أقدامنا لمدة نصف ساعة أخرى تقريبا حتى نصل إلى قمة الجبل، لأن الجمال لاتقدر على تسلق ما تبقى من الطريق لوعورتها، وهناك شاهدنا بناء صغيرا يقول عنه سكان تلك المنطقة من العرب أنه يحفظ خطوات الناقة التي حملت النبي موسى عليه السلام إلى هذا المكان ومكث فيه أربعين يوماً وأربعين ليلة. ورأينا من خلال بعض الفتحات في البناء التي

أحدثتها عوامل التعرية، آثارا لخف ناقة كبيرة

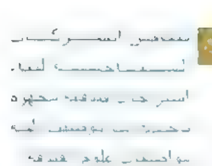
ولدى نزولنا من الجبل سلكنا طريقا أخرى غير التي صعدنا منها، وكانت الطريق مكونة من أعتاب يبلغ عددها ٣٧٥٠ عتبة صخرية، يقال أن رجلاً صالحاً قام بوضعها وتنسيقها بتلك الصورة، لتمكنه من صعود الجبل والتعبد هناك ولم تكن تلك العتبات مستقيمة ولا المسافات التي بينها متساوية

كان نزولا صعبا واستغرق حوالي ثلاث ساعات شاهدنا في الطريق التي سلكناها نزولا بحيرة كونتها بقايا الأمطار، وحولها بعض الأشجار التي نبتت هناك. كانت الرحلة خليطاً عجيباً من الإنهاك والمتعة، وكانت تلك المغامرات الصغيرة تُدخل إلى القلب نوعاً من الفرح الطفولي. فكلما انهينا عشرات العتبات، بدأت غيرها وهكذا تظل أنظارناشاخصة إلى البعيد لكي نعرف كم من المسافة بقيت لنا، وحين وصلنا إلى أسفل الجبل. لم نكن نشعر باقدامنا من شدة الألم الذي استمر لأيام معدودات

يعود تاريخ بناء هذا الدير إلى سنة ٣٣٠ قبل الميلاد، وكُرس فيما يُقال لإمرأة كانت تدعى

كاترينا، ويتألف المبنى من عدة أبنية صغيرة متفرقة بنيت في أزمنة مختلفة عبر العصور ويتضح ذلك من خلال نوعية المواد المستخدمة للبناء من أسمنت وطوب وغيرها

بعد تلك الرحلة عدنا إلى شرم الشيخ، وتملكنا شعور بأن الرحلة طويلة ولكن ذلك لم يكن إلا نتيجة التعب والإرهاق الذي أصابنا في عمليتي الصعود والهبوط، وقلة النوم والأكل وبعد أن وصلنا إلى مقرنا ونلنا قسطاً من الراحة توجهنا إلى الصحراء، وفعلا دخلنا بالسيارة إلى عمق الصحراء وقابلنا بدوا عرّفونا إلى أنفسهم ودعونا إلى تناول طعام العشاء معهم. حيث قدموا ما لذ وطاب من الشواء، وشهدنا شيئاً من الفلكلور العربي السيناني، حيث برع الجميع في تأدية أدوارهم واتقنوا في تفننهم. كذلك اطلعنا على بعض المنتوجات التي يقومون بصنعها وبيعها للسياح الذين يزورون المنطقة



العودة إلى القاهرة :

ودّعنا شرم الشيخ بعد أن قضينا فيها فترة من الزمن مستمتعين بسحرها وجمالها وشواطئها الخلابة وجبالها الجرداء، ورمالها الذهبية وطبيعتها البكر لقد تركت زيارتنا في النفوس ذكريات لا تنسى، هكذا ودعناها مأسورين بالمتعة والرغبة الشديدة في العودة لإكتشاف المزيد من المناطق، التي لم يسعفنا الوقت لزيارتها في هذه الرحلة. فهي منطقة رائعة في هدونها وجمالها والأساليب المستخدمة في بناء مساكنها غادرنا شرم الشيخ ظهرا بعد أن أمضينا أوقاتا في سيناء التي ربما لم يفكر الكثيرون في زيارتها، ولكن زيارة واحدة تجعل المرء يفكر في زيارتها مرة ثانية ■



أبو القاسم الشابي والسيرة الغائبة

بقلم :أ.د.عبد السلام المسدّي – تونس

سؤالان يراودان كل ناقد تأمل في شعر أبي القاسم الشـابي وحـاول أن يربط مـوقف الشـاعـر من الأدب بمقومات الابداع الشعري لديه :

الأول :

لئن أعلن الشابي عن موقفه النقدي من الأدب العربي في عصوره التاريخية فكان إلى عدم الرضا أقرب منه الى الرضا فكيف استطاع أن يحقق نقلته النوعية في صياغة «أغاني الحياة»؟

الثاني :

إذا كـانت الشـعـرية عند أبي القـاسم الشـابي قـد استمدت مقوماتها من طبيعة المضامين التي طرق أبوابها فهل يعقل ان يلتئم الأجماع على تفوقه الأبداعي لولا أنه قد أبان عن تميز في بناء الشـعـر، وأنه لـم يقطع جسـور التواصـل بيـن الذائـقـة العربيـة وتراثها الجمالي في فن القول ؟

إن ما نعلمه من آراء الشـابي عن الشعـر لكثير بينما لانعلم ذا بال عن اللحظة الشعرية كما كان يعيشها ، وكما كان يستلهم فيها ينابيع فنون القول . فآراء الشابي في الشعر وفي الادب قد دونها لنا في محاضرته ، وكان فيها متقمصا رداء النقاد المؤرخين للآداب ، بل كان فيها نابشا في أرض بكر هي أرض الأدب المقـارن قـبل أن يعـرف الناس عندنا ما الأدب المقارن ، ودوّنها لنا شـعرا لما كان يتحدث بالشـعر حديثا يكفيك أن تفك عنه لبوس الصياغة وتتأوله فيسمي قولا نقديا حصيفا .

وعندما نشرت رسائله زادتنا معـرفة بتصـوراته عن الأدب وواجبات الأديب ، وعن النقد ووظائف الناقد . اما كيف كان الشابي يستلهم موارد الشعر ، وكيف كان ينهل من عيـون اللغة، ومـاذا كـان يستـذكـر من أمـهـات القـول عندما يهم بترتيب أدوات الشـعـر ويواجـه آليات الصـوغ والتركيب ، فلسنا نظفر من ذلك بزاد يروي نهمنا ، اللهم إلا بعض النتف من القول جاءتنا بها مذكراته على اختزال ضنين كالذي تضمنته إحداها حين قص علينا ما استطرد إليه في أحد الأيام بعض أساتذته من حـديث عن العقل الباطن والعـقل الواعي، ودار الحـوار بعدهما مع صديق له قال له : «انه حلّ مسألة هندسية غامضة في نومه مع أنه لم يستطيع حلها في يقظته ».

ثم اسـتطرد الشـابي يقـول : «فـحـدثته انا عن نظمي الشـعـر في المنام ، وقصـصـت عليه أني نمت مرة فـرأيت منظرا غاية في الروعة والبهاء وسـحـر الجمال دفعني الى أن اقول الشعر فيه» .

ثم اسـتـأنف الكلام ليشـرح لنا مـضـمـون الرؤيا التي أوحت له بقول الشعر في المنام فقاله وهونائم : «رأيت أولا ان في الأفق قطعـاً من الغيوم منثورة ، ويحيط بكل قطعة إطار من نور كلون الشـفق ، ثم تلاشى هذا المنظر ، فاذا بي في قصـر منفـرد وبجانبي غادة مرخاة الذوائب، وعلى السماء حجاب من غمامة كثيفة بيضاء . ثم انهل المطر من السـمـاء وفـاض من الأرض ، ولكن بكيـفـيـة غـريبـة لم أشـاهدها ولن أشـاهدها . ذلك ان السـمـاء لم تكن تمطر مطراً عادياً ، ولكنه يشابه رغوة الموج في بياضـه ، وكانت الأرض تفـيـض بمثل تلك الأمـواج التي تخـالط مـا تنزله السـمـاء ، فكان من اخـتـلاطـهـمـا منظر عـجـيـب رائع لا استطيع أن أصـفـه ولا أن انساه » . (المذكرات، طبـعـة البابطين. ص ١٠٧) .

إن مما لاشك فيه أن العناصر الأساسية قد تجمعت على مدى السنوات لتكون لنا ترجمة دقيقة للشابي : عن تفاصيل حياته ومعيشته ودراسته ، وعن تقلبات الظروف التي حكمت علاقته ببيئته ، وعن كثير من الأسباب التي أدت الى أن تكون آراؤه في الادب ومـواقـفـه من قـضـايا الوطن والأمـة على مـا كانت عليه ، ثم عن تفاصيل بالغة الأهمية تخص الوشـائج الفكرية التي نسجها مع ثله من خيرة أدباء تونس ، وثله من اخيار الادباء العرب ولاسيما في المشرق .

وتجـمـعت لدينا بعض المعطيـات التي أوصلت النقـاد والبـاحـثين الى تكوين صـورة جـميلة عن مـصـادر ابي القاسم الثقافية ، ومناهله الفكرية ، إذ نعرف إجمالا ماذا

كان يطالع، وعلى أي نوع من الدرس الفكري كان مواظبا، والى أي غذاء من الآداب كان يأخذه الشره.

غير ان شيئا مهما يظل محجوبا عنا رغم كل ما أسلفناه، وهو السند الذي به نعرف على وجه الأمانة كيف سوى الشابي لنفسه لغة، وماذا كان يستلهم من أمهات النصوص حتى يسوي نسيجها ، وبأي نبراس كان يستضيء قبل أن ينحت معجمه اللغوي من جسد اللغة : إنه سؤال الشعرية حين يفيض من رحم اللغة فيرتد مسائلاً عن لحظة النشوء والبدايات عند كل صائغ لفظ ، وعند كل قائل شعر .

وعندما يتحول سؤال النشأة الذي هو سؤال البدايات والذي يتخذ اللغة منطلقا ونهاية مطاف في نفس الوقت الى هاجس يتملك الناقد ويمسك عليه توسلاته اللغوية والأسلوبية لا يبقى من مخرج الا النص ذاته : نتعاطاه ، ونعاوده ، ثم نتغافل في كل تكرار عما حصّلناه منه آنفا لنقول : هل في اللغة من شاهد جديد ! وهل من سبيل الى استدعاء هذه السيرة الشعرية الغائبة!

لقد أوقفتنا القراءة ومعاودة القراءة على شيء في شعر الشابي توجسنا منه ارتيابا ، فتركناه الى غيره ، ثم صرفنا انفسنا الى النقاد نستطلع ما قالوه ، ونجوس الأخبار التي تنير لنا سبيل النشأة الاولى : نشأة اللغة الشابية ، ونشأة الصورة الشابية، ونشأة الشعرية القاسمية .

ووجدنا اشياء . وجيهة يصدقها الحس المقارن ، ويكفي ان نتخذ الشابي شاهدا على نفسه حتى نعلم ان ديوان أغاني الحياة قد جاء في مظهره سعيا حثيثا الى سد الثلمات التي تحدث عنها كتاب « الخيال الشعري عند العرب » والتي أبان الشابي عن وجودها في ادب العرب .

ولكن الذي رأيناه هو ان اباالقاسم الشابي قد ظل تراثيا في شعره حتى النخاع ، ودعك من ظواهر التجديد الموسيقي، ودعك من تناول الاغراض المستطرفة ، و خذ معنا سبيل اللغة في طبقاتها التكوينية الاولى، وطف معنا في مناضدها الجيولوجية : عبر الصورة ، والمجاز ، واشتقاق الصيغ ، وافراغ الدلالة في قوالب البناء ومناويل التركيب ، فسترى ما رأيناه وهو أن شاعرنا قد ثار على النص الشعري القديم ولكنه لم يستلهم في تشييد صرح شعريته إلا ذاك النص الشعري القديم أولا وآخرا.

وذهب النقاد في الأمر كل مذهب . واذ لم تكن حيرتنا كحيرتهم، ولا كان همنا أن نبحث عن المعاني من خلال التناص، ولا أن نتعقب آثارالحافر على الحافر ، فإننا قد عاودنا الكرة وتجرأنا على النص، وعلى النقاد ، ثم على المترجمين لسيرة أبي القاسم الشابي وتساءلنا : اذا كنا نعلم واثق العلم أن شاعرنا قد تلقى تكوينا مخصوصا ، وكنا نعلم انه لم يجد علينا بتدوين سيرته الشعرية – على حد ما أصبح بعض المبدعين يدوّنون لنا أضرباً منها – أفلا يتعين علينا ان نستنطق الشعر في ضوء معالم ذاك التكوين بحثا عن نشوئية النص من خلال لغة النص .

إن تصوير البيئة التي طبعت تكوين ابي القاسم الشابي هي أفضل مما يقدمه لنا شقيقه المرحوم الأستاذ محمد الأمين الشابي إذ يتحدث عن أخيه وعن والدهما قائلا : «كان والده من خريجي الأزهر ومن مجازيه ، وبه درس أولا فأقام بمصر في أوائل هذا القرن سبع سنين ، ثم درس بتونس بجامع الزيتونة سنتين، حصل بعدهما على التطويع ، ثم سمّي قاضياً شرعياً لسنة من ولادة بكره ابي القاسم فتصرف في قضاء كثير من البلدان التونسية».

جاء ذلك في المقدمة التي كتبها الأستاذ محمد الامين الشابي لديوان شقيقه ابي القاسم، ومعلوم ان الشاعر كان قد جمع ديوانه بنفسه وأعدّه للنشر، فأدركته المنية في العاشر من اكتوبر سنة ١٩٣٤ م ، ولم يظهر الديوان إلا بعد عقدين فجاءت مقدمة أخيه مؤرخة في الثاني عشر من ابريل لسنة ١٩٥٤ م .

لقد اختار الشاعر بنفسه لديوانه عنوانا ، ويرى الناس، كل الناس ، انه عنوان نابع من فيض الأستلهام الرومانسي الذي أحاط بالشاعر ، وغمر أشعاره، وتوارد عليه من موج الابداع السائد يومها من شعراء المشرق ، الذين هجروا المشرق ، ومن الذين ظلوا يجرون تلابيب الوجد بالطبيعة في مختلف انحاء القارة العجوز منذ اندفق جدول الرومانسية من بواطن الطبع الجرماني

وكل القرائن تعين على هذا الأستدلال : ان «أغاني الحياة» صدى من أصداء الولوج الرومانسي .

أما نحن فقد نرى فيه شيئا آخر .

نرى انه كالصدى، او كرجع الصدى . من مغمور الذاكرة التراثية : هو « الأغاني» رابع أركان الادب او خامسها ، ولكن شاعرنا يريد لأغانية الا تكون اغاني

الماضي وان ارتبط وعيه بجذور الماضي ، وانما يريدها اغاني الحاضر المبشر بالمستقبل فقال هي «أغاني الحياة» ولو تأولنا كلامه وما يخفيه بين مظانه لقلنا انه اغاني الذات الحضارية وهي حية ، باقية على حياتها ، مبقية على حيويتها ، هي الاغاني ينشدها لنا ابو الفرج الاصفهاني كما لوكان حاضرا بيننا الان يتحرك الى زمننا فلا يرغمنا على الرحلة الى زمنه، فلا نتبرم بأغانيه، ولا نضيق بشيء من ادبه لأنه أدبنا ، ولأنه أدب لنا .

واذا بصورة أبي القاسم الشابي غير ما الف الناس، لأنه صورة السيرة الغائبة . لم يختلف الشابي الى المدارس التي كانت تعرف في تونس آنذاك بالمدارس العصرية وهي يومئذ على ضربين : مدارس «فرنسية - عربية» يطلق عليها مصطلح «فرانكو - اراب» ، ومدارس صادقية ، او على وجه التحديد مدرسة التعليم المنسوب الى مؤسسة محمد الصادق باي، أحد البايات المصلحين المستنيرين . وانما كان الشابي متلقيا للعلم في بيئته العائلية الاولى التي لاشك كانت ترتكز على معاضدة الكتاتيب حيث يلقّن القران الكريم. ثم التحق مبكرا - في سن الثانية عشر - بجامع الزيتونة ولم تتح له الظروف اكتساب لغة اجنبية لا إتقانا ولا غمغمة

ولا نكاد نتردد في الجزم بأن الذي طبع ملكة الشابي من اللغة ، وسوّى سليقته في العبارة ، وجوّد صيغه في النظم والتركيب ، والذي كان الموقد الدائم لحرارة الصورة الشعرية لديه، انما هو ما اختزنه من النص التراثي بكل إيقاعاته، وبكل فواصله ومضامينه

لقد عاودنا قراءة النص الشابي بكل مناضده : في أغاني الحياة ، والخيال الشعري عند العرب ، وفي المذكرات وفي الرسائل ، وعاودنا قراءة ما ذهب اليه المتأولون ، فلم نظفر بما يقنعنا بالذي ذهبوا اليه . والح علينا الهاجس إلحاحاً لم يكن لنا معه من خيار الا الإحتكام الى النص الشعري من جديد : نستصفي صيغه الحاكية، ونستخرج مواطن الاستلهام فيه، منصرفين في كل ذلك عن المضامين النقدية انصرافا منهجيا، وعن سياقات التركيب إنصرافا مؤجلا، بحيث اتخذنا من هذه وتلك وسائل إلى غايتنا ، وقصرنا همنا على الصيغ من حيث هي قوالب في النظم ، ومناويل في الأسلوب ، عسى ان نهتدي بعد ذلك الى الباب الدلاله بحكم المعجم ، وجواهر المعاني بحكم الشعر، فنعود عندئذ الى مضمون الأقاويل في أدق وجوهها.

إن حضور الألهام التراثي بإيقاعه، وصوره ، ومجازاته، في تجربة الشعر عند العرب منذ فجر نهضتهم الحديثة والى يوم الناس هذا لهو مورد فياض من البحث في أزمنة النشأة وعمر البدايات، وقلما يبوح الشعراء بمناهلهم في الصياغة لأنهم في الأغلب ضنينون بلحظات المكاشفة الشعرية . ومن باح منهم فقلما يقدر على مواجهة هذا المورد، لذلك تراه وأمثاله يمرون عليه لماما.

والأمر أشد وقعاً منذ خرج الشعر الى أطواره الجديدة مع قصائد التفعيل واشعار النثر ، وكان الشابي على تخوم فضاء الانتقال ، كان جنين الوعي الشعري يتخلق في بداياته وكانت أرض اللغة حاملا تتوجع

لقد عاجلت المنية ابا القاسم فلم تسعفه بالزمن حتى يكتب لنا سيرته الشعرية . ولسنا ندري لو كتبت الاقدار ان يمتد به العمر ، وأن تتسع مذكراته، هل كان ينتابه الوعي بهذا المعين الالهامي ! ولسنا كذلك ندري أن لو أحس به أيكون قادرا على مكاشفتنا به !

ربما لا !، وسبب النفي أن الشابي قد عاش انفصاما في ذاكرته الشعرية فلقد ساءت علاقته بالمؤسسة التربوية التي غُذيٌ منها فكرا وثقافة كما ساءت علاقته بالبيئة الأجتماعية التي كانت تحوطه.

لقد قال الشابي قولاً حراً قراحاً في أدب العرب وشعرهم وخيالهم ، قاله وهو محب لأدب العرب ، وهو محب للعرب ، ومن فرط تعلقه بالتراث أراد ان يرى التراث حيا معه في الزمن لامجروراً إليه من حنايا التاريخ ومواضي الأعصار .

كان مدفوعا بحب المعرفة ، وكان طموحًا إلى جعل الماضي حاضراً بين يديه ليتوثب به نحو الغد ، وكان يتألم لأن الذين حوله لم يعوا بقدر وعيه إشكالية المعادلة الحضارية بين منزلة التراث من نفوسنا ومنزلة الذات الحضارية من التاريخ.

كان الشابي يوما في مقاعد الدرس فاستمع الى شيء جديد شدّه شدا ، ولكن اقرانه لم يحفلوا بهذا المورد الثقافي الجديد كما حفل به هو ، فلاذ بمذكراته ليدوّن الحادثة بتاريخ الثامن والعشرين من يناير سنة ١٩٣٠ م، فجاء حديثه رثاء خالصا لهؤلاء الذين يوصدون أمام اعينهم منافذ المعارف الجديدة .

«مسكينة هاته النفوس ما اصغرها واحقرها واضيق آفاقها . كنا اليوم بدروس الأستاذ الذي ندرس عليه دروس «العقود المسماة» ولما جاء الأستاذ في درسه أراد ان يحدثنا عن العقل الباطن والعقل الواعي اللذين طالما حدثنا عنهما ، وفتح جريدة السياسة الاسبوعية ، ودعا أجهرنا صوتاً لتلاوة فصل بها يتعلق بالموضوع وبسطه ، وما أن أخذ التلميذ في تلاوة الفصل ، وأخذ الأستاذ في تبيينه حتى رأيت بسمات هازئة، ووجوهاً سائمة، وملامح متضجرة . ذلك لأنها نفوس ألفت أن تعيش في منطقة ضيقة من مناطق الحياة والتفكير ، لا تستطيع أن تحيا في سواها او تعدوها . مسكينة هاته النفوس مسكينة!» .

هكذا حيل بين الشابي وعقله الباطن إن شئت ، وهكذا انغمس حسه الوجداني في غيابات النشأة التكوينية فلم يزده ذلك إلا تعلقا بالنص التراثي الذي هو قوّام الذات الحضارية، وإصرارا على الارتواء من الزمن الحاضر الذي هو قوّام الذات التاريخية المتحركة

وجاءت أغاني الحياة على ما جاءت عليه . جاءت استلهاما مزيجا : فيه صدى من النص التراثي المنغرس في اللاوعي ، وفيه صدى من هذه الثقافة الجديدة التي يسمع عنها ، واذا قرأ فهو يقرأ عنها اكثر مما يستطيع قراءتها بذاته وبذاتها

جاء ديوان «أغاني الحياة» محصلة معقدة من الشعر والخيال ومن المجاز والتخييل ، يخالها كل طارق طيعة المنال فتغريه ، فإذا دنا فهي عصية، ويخالها كل خاطب يسيرة الأنقياد ، فإذا امتحن ملكة اللغة لديه ، واختبر صياغة الفن لديه، وتعاطى ابداعية الشعر في كوامنه، تأبّى اللفظ وتجلّت اللغة حروناً وهي تبتسم .

ويجتمع التأويل آخذاً الناس إلى تخوم متباينة، وكلهم واجد في شعر الشابي ما يرضيه، وكل مقتنص للدليل يقتطعه من سياقه ، وليست الخلّة في الآخذ ، ولكنه النص حمّال دلالات ، وطواف مرايا، وما هذه حاله فهو اخّاذ الباب .

وجاء موقف الشابي من العرب ومن ادب العرب ومن مدى ثراء الخيال في ادب العرب وكأنه ثورة على العرب وما هو بثورة عليهم .

هي صيحة الابن يريد البر بأبويه فيراهما على الاصرار فيما لا نفع لهما فيه، كصيحته يوم قصد الى الغاب بعد ان كاد اليأس يتملكه وهويستنهض شعبه ويستعديه على العدو والمستعمر المستبد .

ومما زاد أبا القاسم إنفعالا وهو يبحث عن غزارة الخيال الفني في آداب الأمم الاخرى ويقايسه بالخيال في ادب العرب انه – في ظننا بل في يقيننا – كان يقرأ ما في الأدب الاجنبي مترجماً إلى لغته والترجمه لا تخلق زوايا ضوئية بين النص الاول والنص الثاني. وليس السبب ان الآداب الاجنبية في بعض عيونها قد ترجمها نقلة تصرفوا في النص بما يكفل رونق اللسان العربي فيستساغ النص المنقول وإن اهدرت بعض اسرار النص المنقول عنه

فكل هذا مما هو مألوف ومما هو محتوم بحكم خصائص المرحلة التاريخية التي لها قوانينها الحضارية . وإنما السبب الأقوى هو في يقيننا أن الشابي كان يقرأ عن الأدب الاجنبي بعين الحرمان ، وكان يطالع بعض نصوص الآداب الاجنبية المترجمة الى اللسان العربي بعين الحرمان ايضا : الحرمان الذي علته انه لم يعرف الى المعرفة والى العلم وإلى الادب والى سائر الفنون سبيلا غير سبيل اللسان الواحد .

كانت الأشياء تتضخم امام ناظريه ..

وكانت الدلالات تتخذ اشكالا تراوغ حسه .

وكان في كل ذلك يقرأ وهو واقع تحت تأثير اللسان الغائب .

وليس أمر الشابّي في هذا كأمر سائر الناس : فقد يقرأ الناس أدبا مترجما الى لسانهم وهم عارفون باللسان الأصلي الذي كتب به ذلك الأدب فلا يضيرهم ذلك شيئا ولا يركب لهم تخييلا فوق مخيلتهم ، وقد يقرأ بعض القارئين ادبا مترجماً إلى لغتهم وهم لا يعرفون اللغة التي كتب فيها بالأصل فلا تضطرب بهم المسافة بين اللسانين، ولا يسبغون على ما قرؤوا اكثر من منصوصه . ومن الناس من يقرأ الآداب الأجنبية منقولة إلى لغته الام التي لا يعرف غيرها من الألسنة إطلاقا فينزل الأشياء منازلها الطبيعية دون إحساس منه بعقدة نفسية ، ولا دونية فكرية، فضلا عن إحساسه بتهافتات حضارية بالنسبة الى آداب الأمم الاخرى .

ولكن أبا القاسم الشابي كان يقرأ في الوعي بلغة العرب، وكان في الوعي يقرأ باللغة الغائبة . ولن يكتمل لنا بناء سيرته الشعرية إلا من خلال الغائب الذي سكت عنه ■

التصحّر

مسبباته البشرية وطرق مكافحته

إعداد: محمد عيسى احمد - الرياض

استحوذت ظاهرة التصحر على اهتمام كثير من الباحثين الذين درسوها وبينوا أسبابها وطرق علاجها. ويتعين علينا منذ البداية التفرقة بين التصحر والصحراء، فالتصحر ظاهرة طبيعية تتعرض فيها الأرض الزراعية إلى عوامل الحفار والتعرية، تتحول على أثرها إلى أرض صحراوية أو شبه صحراوية غير زراعية. أما الصحراء فهو اصطلاح يطلق على الأرض الجرداء، التي تتميز بنظامها البيئي العقيم غير الملائم للنشاط الحيوي. فالمناطق المتصحرة لم تكن صحاري سابقا، بل كانت مناطق ذات غطاء نباتي يتناسب مع درجة جفافها، وأدّى التدهور الشديد الذي نتج عن اختلال توازن أنظمتها البيئية إلى تغيرات بيئية محلية جعلها تأخذ صفات أقرب إلى صفات الصحاري.

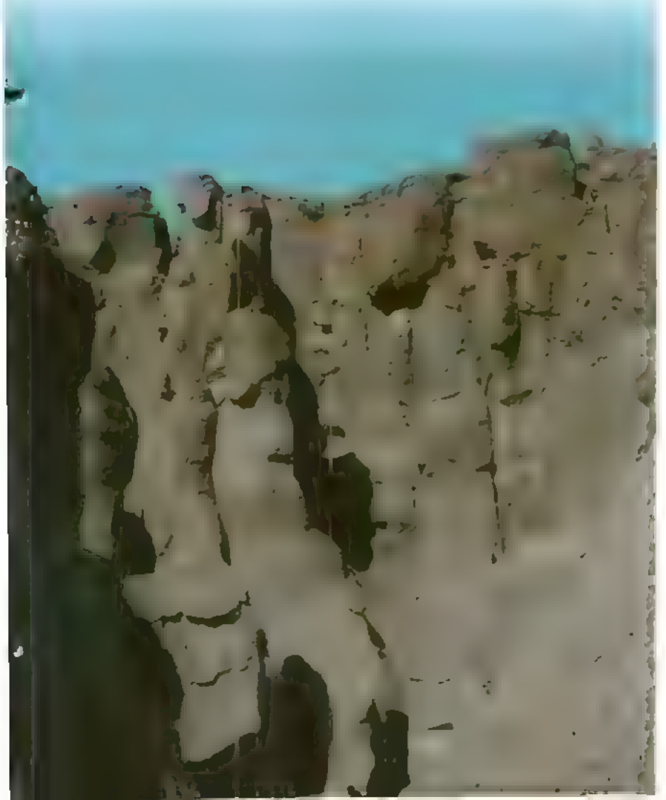
هناك العديد من المناطق التي يطلق عليها تجاوزا صحارى، لكنها في الواقع ليست صحاري حقيقية، إنما هي ببساطة مناطق جافة تقل فيها كمية الأمطار عن المستوى المطلوب للمناطق المروية، كما هو الحال في وسط استراليا وكلهاري، وشمال المكسيك وجنوب غرب الولايات المتحدة لكن هناك صحاري حقيقية مثل الصحراء الإفريقية، وصحراء سيناء، وصحراء الجزيرة العربية، والصحراء الإيرانية، وبعض مناطق وسط اسيا

اسباب التصحر :

هناك عاملان أساسيان يشكلان أسباب التصحّر :

- **العامل الإنساني** : ويعني إستعمال الإنسان للارض من خلال الأنشطة المختلفة التي يقوم بها، فسوء استغلال البشر للأرض والموارد الطبيعية الأخرى هو السبب الرئيس لانتشار ظاهرة التصحر، فإذا كان تشكل الصحارى يعود إلى عوامل جيولوجية مناخية وعوامل كونية ليس للإنسان أي دور أو تأثير فيها، فإن الإنسان بأفعاله المختلفة يعد المسئول الأول عن عملية التصحر بل ضحيّتها الأولى في نفس الوقت، حيث تتحول أكثر من ٦٠ ألف كم٢ سنويا من الأراضي الخصبة أو الصالحة للزراعة إلى أراض غير صالحة للانتاج في العالم

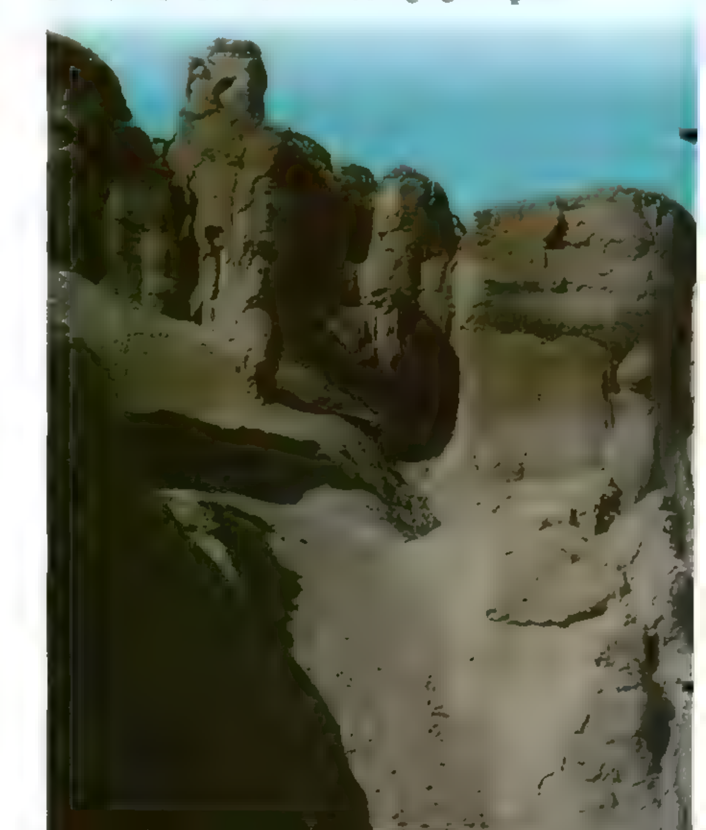
لقد أصبح معروفا أن الأنظمة البيئية المختلفة التي تشكل البيئة تتألف من مجموعة من العناصر التي تترابط فيما بينها ترابطا وثيقا وتكون طبيعيا في حالة توازن واستقرار طالما لم يحدث أي تغيير في مكونات هذه الأنظمة، ولكن عندما يتعرض توازن هذه الأنظمة واستقرارها للاختلال بسبب ما، فإنها تعود وتشكل توازنا جديدا فيما بينها يتلاءم مع الظروف الجديدة المحدثة. ومع إستمرار إختلال التوازن البيئي بشكل سلبي تبدأ تدريجياً مرحلة التصحر الرأسي، حيث يتدهور الغطاء النباتي شيئاً فشيئاً، ومن ثم تليه التربة، وبالتالي يتغير المناخ المحلي ويزداد جفاف الموقع، ويحدث بعدها انجراف التربة وتعريتها، وأخيرا تظهر الصخرة



التصحر ظاهرة طبيعية [illegible] الحفار والتعرية وتحول [illegible] غير زراعية

الأم أو الطبقات الرملية المفككة والكثبان الرملية في المناطق الجافة، وتأتي بعد ذلك مرحلة التصحر الأفقي حيث تدخل المناطق المتصحرة (إن كانت مجاورة للصحراء) شيئا فشيئا في نطاق الصحراء. ويجري هذا اعتبارا من البيئات الهشة الحساسة القريبة من الصحراء التي تكون أكثر تأثرا أو عرضة بطبيعتها للظواهر البيئية وعلى الأخص ظاهرة التصحر، بينما تكون المناطق البعيدة ذات البيئات الجيدة آخر ما يتأثر بظاهرة الزحف الصحراوي. وهنا نستطيع القول أن زيادة عدد السكان بشكل يفوق امكانات الأرض الانتاجية في المناطق الجافة وشبه الجافة يؤدي إلى زيادة الحاجة إلى إنتاج قدر أكبر من الحاصلات الزراعية وبالتالي زيادة الضغط على المساحة المحدودة من الأرض بهدف إنتاج ما يكفي من الغذاء للأعداد المتزايدة من البشر نتيجة لذلك تتدهور وتسوء الأرض وتفقد قدرتها الإنتاجية مما يؤدي إلى تصحرها.

العامل المناخي : أي المناخ ونظامه المائي في منطقة معينة، وفي هذا السياق يعتقد بعض الباحثين أن عامل المناخ خاصة الجفاف مع العوامل الأرضية الأخرى يعد من الأسباب الرئيسة للتصحر، فالمناخ الحالي هو استمرار للمناخ الجاف الذي بدأ منذ ٥٠٠٠ سنة مع ميل عام نحو الجفاف، أي أن التصحر ناتج عن جفاف تدريجي للمناخ مع تغيرات مناخية كونية ليس للإنسان



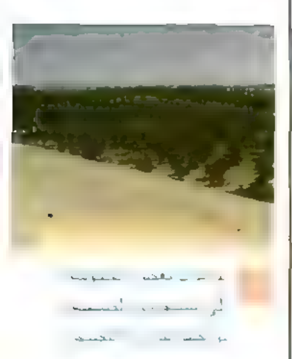
أي دخل فيها. لذلك يعتقد أن انهيار الحضارات القديمة التي نشأت في المناطق الجافة وشبه الجافة وعلى هوامش الصحاري، ناتج عن التغيرات المناخية التي طرأت على هذه المناطق وجففتها، ولاسيما في فترة الامبراطورية الرومانية والقرون الوسطى.

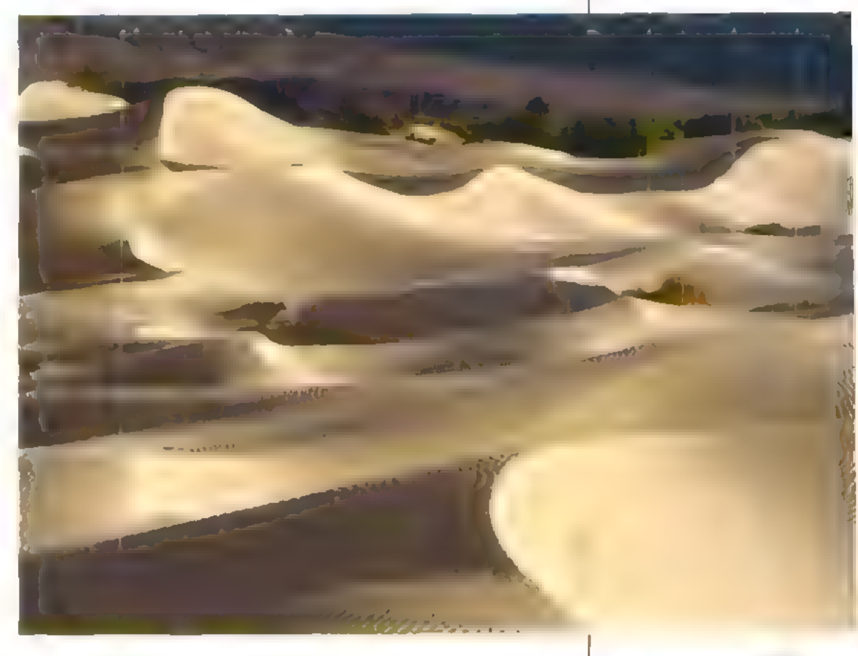
وبالنظر إلى الدراسات التاريخية العديدة وعن طريق تحليل المعطيات المناخية المتراكمة خلال فترة طويلة من الزمن أي منذ خمسة الاف سنة، فقد اكتشف العلماء أن المناخ السائد آنذاك يشبه المناخ السائد حالياً، وأن هناك اتجاها عاما نحو الجفاف يسود المنطقة العربية منذ الاف السنين. كما انه لم توجد تغيرات مناخية غير اعتيادية خلال تلك الفترة، ولكن تبين وجود تعاقبات لفترات جافة تتلوها فترات ممطرة، فمثلا في البادية السورية أوضحت الدراسات المناخية العديدة التي أجريت في كل من حوض دمشق وحوض الفرات أن المناخ الحالي للمنطقة كلها يشبه إلى حد كبير المناخ الذي كان يسودها منذ خمسة الاف سنة، ولايوجد حتى الآن دليل واضح على تغيير المناخ منذ تلك الفترة، كذلك الأمر بالنسبة لمنطقة الجزيرة العربية، ولعل دعوة نبي الله إبراهيم الخليل عليه السلام خير شاهد على أن المناخ ثابت ولم يتغير منذ أن أسكن بعض أولاده بوادٍ قاحل في مكة المكرمة عند الكعبة الشريفة حتى الآن.

وقد وردت القصة في القرآن الكريم « رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ » (سورة إبراهيم : اية ٣٧). فقد كان وادي مكة وما زال غير ذي زرع.

ولذلك فإن الأدلة حول الأسباب المناخية للتصحر واهية يصعب إثباتها أو القبول بها، ولاسيما إذا علمنا أن الله خالق الإنسان، وفر له الظروف المناسبة ليعيش وينتشر في الأرض وياكل من رزقها، وجعل لكل منطقة توازناً بيئياً طبيعيا خاصا بها يقوم بين مكوناتها الحية وغير الحية، غير أن الإنسان لعدم معرفته وطغيانه راح يعبث بتوازن الأنظمة البيئية واستقرارها الطبيعي الذي هو نفسه جزء لايتجزأ منها منذ أن خلقه الله على هذه الأرض، فهو خلق ليعيش فيها ومعها هو وذريته محافظاً عليها وعلى نظافتها.

خلاصة القول إذا كان يصعب علينا إثبات صحة





الأدلة حول الأسباب المناخية للتصحر، إلا أن الحقيقة تؤكد أن المميزات المناخية القاسية للغالبية العظمى من مساحة العالم العربي تشجع وتساعد بصورة أو بأخرى على عملية التصحر

آثار التصحر :

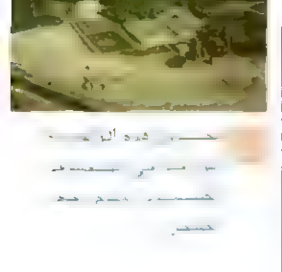
تتمثل هذه الآثار في فقدان الأرض لحيويتها وانتاجيتها وعجزها عن الوفاء بحاجات الإنسان من حبوب وغذاء مما يترتب عليه تهديد حياة الإنسان الاجتماعية والحياتية، فالتصحر يؤدي إلى تقلص الرقعة الزراعية وإلى هجرة السكان من الريف والمناطق النائية لى الحضر والمدن بحثا عن سبل العيش والحياة، فمثلا كان ينظر للسودان منذ الستينيات على أنه سيكون سلة لغذاء العالم العربي والإسلامي قياسا بالطاقات الهائلة الكامنة في موارده الطبيعية المتمثلة في اراضيه الخصبة الشاسعة وموارد المياه الوفيرة والغطاء النباتي الطبيعي الذي يحافظ عليها ويحميها من غطاء شجري أو رعوي ولكن سوء استخدام هذه الموارد وإهمال الغطاء النباتي الواقي لهذه الركائز الأساسية التي يقوم عليها الانتاج والتنمية الزراعية تسببا في انتشار ظاهرتي الجفاف والتصحر وتدني الإنتاجية وتقلص المساحات الصالحة للزراعة وقد تزامنت عوامل التصحر في بعض الأحيان مع تعاقب سنوات الجفاف، مما تسبب في ظهور شبح المجاعة في بعض أرجاء القارة الأفريقية الجافة وشبه الجافة. لقد ساهمت عوامل التصحر كثيراً في خفض إنتاجية المحاصيل الغذائية في المناطق الجافة وشبه الجافة ولكن الصورة تختلف على نطاق العالم حيث تضاعف انتاج الحبوب خلال ربع قرن من الزمان انتهى في عام ١٩٧٥م بينما بلغت الزيادة في عدد السكان الثلثين، وعليه فإن انتاج الفرد من الحبوب زاد بمعدل الثلث وأكثر وقد ساهم القليل من اقطار المناطق الجافة المعرّضة لويلات التصحر في هذه الزيادة بينما انخفضت إنتاجية الفرد في كثير من هذه الاقطار وفي دراسة أجرتها وزارة الزراعة الامريكية عن إنتاجية الفرد من الحبوب الغذائية في ست عشرة دولة نامية بالمناطقة الجافة بآسيا وافريقيا، أوضحت الدراسة حدوث زيادة معنوية في إنتاجية الفرد في بلدين فقط هما السودان والسنغال خلال هذه الفترة (١٩٥٠ ١٩٧٥م) حيث تغلب القائمون بأمر الزراعة في هذين البلدين على عوامل الجفاف والتصحر باستعمال طرق الرى الصناعي والتوسع الأفقي في الزراعة، كما أوضحت الدراسة أيضا بأن إنتاجية الفرد استقرت كما هى في قطرين اخرين هما ليبيا وإيران وانخفضت الانتاجية في بقية الأقطار بمعدلات كبيرة إلا ان الزيادة السكانية العالمية المطردة أضحت حاليا تلتهم اية زيادة في معدلات الانتاجية

خصائص التصحر :

تحدث عملية التصحر داخل المناطق الشديدة الجفاف والجافة وشبه الجافة بشكل أساس، أي خارج الصحاري، وتظهر بشكل بقع مبعثرة داخل هذه المناطق، ومع تقدم التصحر تتسع هذه البقع تدريجيا وتتصل ببعضها حتى تسيطر على المنطقة، وهكذا يسود التصحر المنطقة كلها

ولما كانت المناطق شديدة الجفاف والجافة وشبه الجافة متاخمة للصحاري، فإن هذه المناطق المتصحرة تتصل بالصحاري. وهكذا تبدو الصحاري كأنها هي التي تتقدم وتزحف باتجاه المناطق المتاخمة لها لذا سميت هذه الظاهرة في البداية بالزحف الصحراوي أي زحف الرمال الصحراوية

فالتصحر هو من التغيرات التي يصاب بها سطح الأرض وله أثره على تساقط المطر لأنه يمكن أن يؤدي إلى زيادة كمية الغبار في الجزء السفلي من الغلاف الجوي، ويقوم الغبار بحجب ضوء الشمس فترتفع بذلك درجة حرارة الجزء العلوي من طبقة الغبار ويحال دون وصول



بعض الإشعاع الشمسي إلى سطح الأرض الذي يكون باردا نسبيا مما يؤدي إلى تخفيض النشاط الجوي المؤدي إلى هطول الأمطار

التصحر في الوطن العربي :

التصحر مشكلة عالمية، حيث تمثل الأراضي الجافة وشبه الجافة والمعرضة لهذا الخطر أكثر من ثلث مساحة الأرض في العالم ويسكنها أكثر من ١٥٪ من سكان العالم، وهذه المشكلة معرضة لأن تتفاقم في المستقبل في الوقت الذي نرى فيه تزايدا متسارعا لسكان المعمورة، وأكثر المناطق تعرضا لعوامل التصحر هو الحزام الممتد من الشرق إلى الغرب في وسط القارة الإفريقية الذي يشمل إقليمي الساحل الإفريقي والسودان الشمالي، ويمتد الحزام عبر البحر الأحمر وعبر الخليج العربي ليشمل شبه الجزيرة العربية ويتوغل في وسط أسيا. إن مساحة الاراضي المعرضة للتصحر والمهددة به نتيجة سوء استغلالها تقدر تقريبا بثلاثين مليون كيلو متر مربع أي ما يعادل ١٩٪ من سطح الأرض، وهي لاتشكل القسم الاكبر من المناطق الجافة وشبه الجافة في العالم فحسب، بل تتعداها إلى المناطق شبه الرطبة والمدارية المجاورة. وهذه المناطق المهددة بالتصحر موزعة بين أكثر من ثلث العالم التي تعدت الـ ١٨٠ بلدا



ويشكل الوطن العربي بموقعه وحدة جغرافية، وتقع معظم اراضيه في نطاق المناطق الجافة وشبه الجافة، إذ تشكل هذه المناطق القاحلة حوالي ٨ ١٢ مليون كيلو متر مربع، أي نسبة ٨٩ من المساحة الإجمالية لهذا الوطن، والبالغة ٨ ١٤ مليون كيلو متر مربع، منها حوالي ٩ ٩ مليون كيلو متر مربع، أي نسبة ٦٩٪ من المساحة الاجمالية تتلقى حوالي ١٠٠ ملم من الأمطار السنوية وحوالي ٩ ٢ مليون كيلو متر مربع أي ٢٠٪ من المساحة الاجمالية، تتراوح معدلات الأمطار السنوية فيها من ١٠٠ - ٤٠٠ ملم وتعد هذه المناطق هامشية وهي أكثر البيئات العربية عرضة لظاهرة التصحرّ

أما المساحة المتبقية والبالغة حوالي ٦ ١ مليون كيلو متر مربع، أي بنسبة ١١٪ من مساحة الوطن العربي فتعتبر ذات بيئات ملائمة، إذ تزيد معدلات الأمطار السنوية فيها عن ٤٠٠ملم، و على سبيل المثال فإن لبنان يستقبل سنويا ٨ مليار متر مكعب من مياه الامطار يستغل منها ما مجموعه ٥٠٠ مليون متر مكعب لأغراض الزراعة والصناعة والاستخدامات المنزلية في لبنان وبناء عليه فإن الوطن العربي يتعرض للجفاف والتصحر أكثر من غيره من مناطق العالم حيث أن ثلث الاراضي المنتجة سوف يتلاشى في العالم وتخرج من إطار النطاق الزراعي

وتشير الدراسات التاريخية وغيرها إلى أن بدايات الجفاف والجدب تعود إلى العصر الحجري (٦٦٠٠ - ٥٥٠٠ ق.م)، عندما أخذ الإنسان بالانتقال نحو الانهار والمصادر المائية، ويمكن القول أن التقلبات المناخية التي تتعرض لها المنطقة العربية منذ ما يزيد عن ٥٠٠ سنة تشبه المناخ الحالي إلى حد ما

طرق مكافحة التصحر :

إن وقاية الأرض قبل تدهورها والعمل على إزالة أسباب التصحر يعد بالتأكيد من أكثر الوسائل فعالية واقتصادية من عملية إعادة الحياة من جديد للأرض الصحراوية أو المتجهة



إلى التصحر الشامل

فلاشك أن ظاهرة التصحر، ظاهرة سلبية منتشرة في مناطق كثيرة من عالمنا العربي، كما أنها ظاهرة لها اضرارها البيئية على الإنسان والنبات والحيوان والتربة وموارد المياه ويعود السبب الأساس لهذه المشكلة إلى التفاعل غير الملائم للإنسان مع معطيات بيئته والتقلبات المناخية الحاصلة، أو نتيجة لسوء استخدام الإنسان للارض لفترة طويلة، مما يؤدي إلى تعرية التربة وانجرافها لتصل إلى مرحلة التصحر

في هذا السياق هناك عدة مبادئ يجب اتباعها لمكافحة التصحر هي

- الإهتمام بالإنسان وتوعيته لأنه العنصر الرئيس في عملية مكافحة التصحر، ولأنه هو العامل الأساس في التعامل مع ظاهرة التصحر لذلك يجب تزويده بالاجهزة الفنية اللازمة لذلك، وتحفيزه لحسن إدارة المراعي ومواجهة التصحر
- وضع خطط بعيدة المدى قوامها التقويم والمراجعة المستمرة والإدارة الرشيدة على كل المستويات مع اتباع التخطيط التقاني لمواجهة ظاهرة التصحر، إذ لاتوجد حلول سريعة لمشكلة التصحر، وهذه مشكلة ملحة تصيب العديد من مناطق العالم خاصة العالم العربي
- عند مواجهة اثار التصحر، يتعين الأخذ في الاعتبار أن عملية التنمية الشاملة والتغيرات السكانية والتقانات المستخدمة كلها عوامل تعتمد على بعضها بعض أي أنها عملية متكاملة ويجب الا يؤخذ عامل دون اخر
- صرورة سن القوانين والاجراءات المشددة على عمليات قطع وإزالة الأشجار والغابات واستخدامها في الوقود مع الارشاد إلى مصادر بديلة للطاقة
- تطوير وتحديث مراكز ومؤسسات البحث العلمي المهتمة بظاهرة التصحر
- إيجاد نوع من التوازن بين الإنسان وبيئته عن طريق تنمية عقليته وتوسيع مداركه بخصوص المعرفة والتوعية البيئية مع جعله مدركا ومتفهما أهمية العلاقة التفاعلية بينه وبين بيئته، وحاجة كل منهما للاخر
- تعزيز التعاون والتبادل العلمي بين الدول العربية لمواجهة مشكلة التصحر مع تبادل الخبرات فيما بينها بهذا الخصوص، فهذه المشكلة لاتعرف الحدود السياسية للدول
- وضع التشريعات اللازمة لحماية الموارد البيئية خاصة المراعي والغابات من الاستخدام الجائر، مع تسهيل وإزالة العوائق الإدارية لمواجهة مشكلة التصحر
- العمل على تقييم العوامل الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي ترتبط ارتباطا وثيقا بالتصحر خاصة مسألة العلاقات غير المتكافئة ووسائل تحقيق المساواة على المستوى الدولي
- نشر الوعي بين المواطنين لإبراز الحجم الحقيقي لمشكلة التدهور البيئي المتمثل في انتشار ظواهر التصحر وزحف الرمال في مختلف المناطق في العالم وإبراز ما يترتب على ذلك من تهديد لحياة واستقرار الإنسان
- التأكيد على أهمية صيانة الموارد الطبيعية المتجددة - الأرض وموارد المياه والغطاء الشجري والرعوي الذي يحميها - بوصفها العوامل الأساسية للانتاج الزراعي وتأمين انتاج الغذاء للإنسان ■

الصور : من أرشيف أرامكو السعودية

المصادر

نوفمبر ١٩٩٣م

4 - Lamprey, Hough 1978. The Integrated Project on And Land (IPAL) Nature and Resources Vol. XIV No 4

5 - Nasroun, Tageldin H 1989. Forestry Research Priorities in the Sudan "Sudan Silva" VIII No 27

٦ - محمد عباث الاشرف حماية البيئة الرعوية في التصحر، دارة موارد المياه والبيئة، معهد البحوث جامعة الملك فهد للبترول [illegible]

ثلاثة أصوات مدببة

شعر : أحمد سويلم – مصر

الصوت الأول :

لا تسألني عن ماء العين
فالماء بكل الأشياء
ماءٌ في الصخر ..
وماءٌ في النهر
وماءٌ في البحر ..
وماءٌ في التل ..
وماءٌ في السهل ..
فلمن أشكو وجعي حين يغيض الماء
أو حين يَحلّ الطوفان !؟

الصوت الثاني :

حين يضيق العالم في عينيْ
يصير الحجرُ الأصغر .. طوداً
والطود .. يصير بعيني .. غيماً
والغيمة .. أفقا وسماء ..
– لكن سماء المهمومين
تغدو حلماً .. ونعيماً
لافرق لديهم بين الظلمة والنور
بين النجم إذا يشرق أو يغرب
بين الليث القابض فوق الأعناق
وبين الهرّة

الكل سواء في نكبات القلب !

الصوت الثالث :

قفْ !
لاتجلس أو تستسلمْ
عش ممتشقاً في اقدامك
فإذا بتروا ساقيك
فقف .
قف فوق يديك ..
فإذا شلّت .. فعلى رأسك .. قف ..
فإذا انفجر الرأس شظايا
قف يا مهموم على رأسك
فإذا كسروا الظهر
فابحث عن قوقعة .. أو شرنقة
أو كهف مهجور
وتخلّص من هذا الإنسان !

المأوى

عمراً من الوداع واللقاء
لم أغادر فيه مأواي
الذي احتواني .. داخلك
عمراً من الصقيع .. والدفء
استحال فيك الحبُ
ناراً . وسنى .
ما أجملك ..
البحر في صدري أشقّه نصفين
نصفاً نقشت فوقه قصائدي
ونصفه الآخر .. سريلك
وفي نهاية الموج أرى الميناء .. دلتا
وجهك الحبيب في لقاء حدّيها .. فلك
لبيّت ما دعوتِ حتى صار بيننا الحوار
قنديلاً ينير في الحلك
معاً نجسّد الحلم الذي غاب طويلاً
في الشعاب .. واحتلك
ونزرع اللوتس والنوّار
لانغادر المأوى
حبيبتي أنت بقلبي
وأنا منكِ .. الملك

العشق

أنتِ حين انقسمتِ على حافة الصمت
فجّرت عينيك سنبلتين .
ولون احتراقك شمساً ..
– وأنا حين أضرمت النار في داخلي
كنتِ ماء احتوائي
وشِعري
وأسطورة الزمن المستحيل
– فكيف إذا جئت أسألك البوح
أنكرت حلم اشتهائي
وبوحي ..
وشعري
– أفي العشق .. سيّدتي
عاشق مستبدٌ
وآخر مستعبدٌ بالعطاء !

ضغوط الحياة وأثرها على صحة الإنسان

بقلم د. محمد مهدي محمود
الجامعة المستنصرية - العراق

كثيرا ما نسمع أن فلانا أصيب بالكآبة بسبب ما عاناه من مشكلات، وآخر تعرض لسكتة قلبية وثالثا واجه جلطة دماغية ودخل المستشفى نتيجة للضغوط التي يمر بها وقد يصل الأمر إلى الوفاة المفاجئة بسبب تلك الضغوط. كما نسمع صورا غامضة عن استخدام معنى الضغوط في أحاديثنا اليومية، ففي بعض الأحيان نستخدمها لنشير إلى الشدة أو لوصف التحديات أو التهديد الذي يجابه الفرد في حياته. فما معنى ضغوط الحياة وكيف تعمل؟ وما حقيقة أثرها على جسم الإنسان؟ وهل يمكن التخفيف من أثرها؟



تقول في السنوات الأخيرة أصيب الناس بالأزمات القلبية أو السكتات الدماغية وقد تكون الضغوط أحد العوامل المسببة لذلك

تعد المتطلّبات التي تقع على الجسم ضغوطا متى ما زادت عن قابلية الفرد في أدائها أو في معالجتها فهي تمثل الاختلاف أو سوء التطابق بين قدرات الفرد ومهارته وبين متطلبات الموقف، وبالذات عندما يترك هذا الاختلاف أثرا على صحته الجسمية والنفسية

وينبغي الانتباه إلى أن المواقف غير السارة ليست وحدها التي تسبب ضغوط الحياة فقط فالزواج والترقي ومولود جديد وحتى الحصول على ثروة هي أحداث سارة إلا أنها تشكل ضغطا في بعض الأحيان، لأنها أعباء جديدة تضاف لمسؤولية الفرد، فتغير من حياته العادية، فالفعاليات المعتادة و الأعمال الروتينية التي نقوم بها كل يوم تبدو أنها غير ذات خطر، ولكن التهديد المحتمل يظهر عندما يكون هناك ما يقطع أو يعارض هذا الروتين اليومي. إلا أنه من الواضح أن أغلب الضغوط تكون بسبب الأحداث غير السارة والمربكة أو الخطرة أو المؤلمة، التي تشمل مثيرات مثل الحرارة والبرودة الشديدة والضوضاء العالية ... الخ. كما أن هناك أحداثاً مثل التهديد لمكانة الفرد أو تقديره لذاته أو الفشل في أداء مهمّات فكرية مطلوبة، أو عدم القدرة على التعامل مع شخص عدائي أو الفشل في تحقيق أهداف شخصية. وهي من بين العديد من الأحداث التي يمكن اعتبارها ضغوطا نفسية Psychological Stress أما الضغوط الاجتماعية فيكون مصدرها الاختلاف أو التناقض بين حاجات الفرد ورغباته وبين الأنظمة والقوانين والأعراف

والتقاليد التي ينتج عنها الصراع مع الجماعة، سواء في العمل أو في النادي أو جماعة الأصدقاء، كما تأتي الضغوط من الأحداث المفاجئة التي تغيّر بشكل كبير أو تدمر بعض العادات اليومية للناس، كما يحدث ذلك في فترات الحروب والكوارث والنكبات الطبيعية أو موت شخص عزيز أو فقدان عمل أو الطلاق وتنتج الضغوط كذلك بسبب عدم قدرة الأفراد على السيطرة على الأحداث التي تجري في حياتهم

كيف تعمل الضغوط

يمكن للجسم الإنساني أن يتحمل لفترة الإرهاق الناتج عن عمل فكري مضن - على سبيل المثال - باعتباره شكلا من أشكال الضغوط، ولكنه بعد فترة -وهي قدرة الجسم على التحمل - يعطى الاشارة إلى الغدد الكظرية لزيادة هورموناتها التي تصب في مجرى الدم، كما تزداد نسبة السكر في الدم، وتظهر زيادة في حامض الهيدروليك في المعدة - الذي يعمل في الظروف الطبيعية على هضم الطعام، وإذا ما تم إفرازه في المعدة وهي خاوية فإنه يحرق البطانة الداخلية لها، وإذا ما تكررت مثل هذه الحالات فإنه يؤدي إلى حدوث القرحة، ويحدث موقف مشابه للأوعية الدموية مما يؤدي الى حدوث النوبة القلبية كما تتقلص الشرايين وتزداد سرعة ضربات القلب والتنفس ويندفع الدم في العضلات والدماغ أكثر مما يذهب إلى الجلد والأمعاء، ويعاد توزيع الغذاء في الجسم ويذهب إلى تلك الأجزاء التي تحتاج إلى الاستجابة في الموقف الطارئ بصورة خاصة ويجف الفم ويزداد التعرق وتبرد اليدان والقدمان. إن ما تقدم من ردود أفعال جسمية التي تعقب حدوث الضغط تسمى باستجابات التكيف العام، وهذه تهيئ الجسم لاستجابة الهرب من موقف الضغط هذا، ويطلق على هذه المرحلة من مراحل التعامل مع الضغط بمرحلة الانذار وتتكرر هذه الاعراض بشدة أكبر أو أقل بحيث تتناسب مع شدة الموقف الضاغط، فعندما يكون الموقف أكثر تهديدا، كأن يكون الفرد في مواجهة شخص عدواني فإن هذه الأعراض تكون أكثر بحيث يتهيأ الجسم إلى ما يسمى باستجابة القتال

ويمر الفرد بعد ذلك بما يسمى بمرحلة المقاومة، حيث يطلق الجسم



مجموعة أخرى من الهرمونات لتعيد للجسم توازنه وتكيفه تسمى Acth من الغدد النخامية والكورتيزون من الغدد الكظرية، وهذه الهورمونات تمنع الجسم من أن يكوّن رد فعل شديد جدا بحيث يؤذي نفسه، ولكن إذا استمر الموقف الضاغط في تهديده للجسم، يدخل الجسم بما يسمى بمرحلة الاستنزاف (الأعياء) وفي هذه المرحلة تنهار الاستجابات التكيفية ويكون الكائن الحي عرضة للاصابة بالمرض - وحتى الموت - مثلما نجده في حالات الموت المفاجئ بعد سلسلة من الضغوط، حيث تنهار الأجهزة التكيفية

اثر الضغوط على صحة الإنسان

أجريت الكثير من التجارب لمعرفة أثر ضغوط الحياة على صحة الإنسان خاصة عندما تزداد هذه الضغوط، وبعض هذه التجارب أجريت على الحيوانات لصعوبة اجرائها على الإنسان، وفي أحدها عرض الباحث سيلاي - Selye وهو أحد المهتمين في هذا المجال - مجموعة من الفئران لمدى واسع من أنواع الضغوط، مثل الإجهاد الشديد وذلك بوضعها بعربة تدور بمحرك، ومستويات عالية من الضوضاء الناتجة من صفارة مستمرة والبرودة الشديدة، وأيضاً لحالة من الإحباط الشديد الذي نتج عن



وضعها على حافة جدار ضيق جدا، احتمالات السقوط منه كبيرة

لقد وجد سيلاي أن كل أنواع هذه الضغوط لها نفس رد الفعل الجسمي وهي استجابات التكيف العام، كما وجد في تجارب أخرى على الفئران، أن الضغوط المستمرة تؤدي إلى أنواع مختلفة من الأمراض والإضطرابات الجسمية لهذه الحيوانات مثل قرحة المعدة والسكر والتهاب الشرايين ومرض الشريان التاجي

إن الدراسات التي أجريت على الناس الذين تعرضوا للضغوط توصلت إلى النتائج ذاتها، فقد وجد سيلاي ان الفرد لديه حد معين في مقاومته الضغوط الخارجية من خلال التكيف العام فإذا استمرت هذه الضغوط لفترة طويلة وتنوعت، خاصة تلك الضغوط المرتبطة بأمنه الجسمي والنفسي مثل مرض الفرد أو احد افراد أسرته لفترة او الطرد من العمل او الإفلاس أو غيرها، إنهارت الاستجابة التكيفية وفي دراسة «فريدمان» واخرين تناولت أثر ضغوط العمل على ارتفاع نسبة الكولسترول في الدم - الذى يؤثر تأثيرا كبيرا على زيادة الاصابة بأمراض الشريان التاجي - وجدت علاقة إرتباطية عالية بين الإثنين، وان الأفراد المعرضين أكثر من غيرهم للاصابة بهذا المرض هم من مستويات مهنية وإدارية عالية ويتحملون أعباء كبيرة هذا وقد توصلت الكثير من الدراسات في أوروبا خاصة في السويد إلى النتائج ذاتها. واشار عالم وظائف الأعضاء السويدي (كانون Cannon) الى أن الآثار التى يتركها الادرينالين على الأنسجة الجسمية يمكن أن تظهر في حالات الإنفعال فتؤدي إلى تراخي العضلات الملساء، خاصة في المجاري الهوائية في الرئة، وكذلك اختلاف توزيع الدم في الجسم وتسريع نبض القلب وزيادة ضغط الدم وسرعة تجلطة

لقد أصبح هناك فهم وإدراك أكيدين بين الأطباء النفسيين وعلماء النفس والأطباء، بأن الضغوط مرتبطة بالمرض وأن هناك ما لايقل عن ٨٠٪ من كل الأمراض ترتبط أسبابها المباشرة بالضغوط مثل الاضطرابات المعوية كالقرحة والتهاب القولون وأمراض القلب والشرايين التاجية والامراض الجلدية والصداع والحساسية وحتى السرطان ويقول الاطباء أن الناس يكونون أقل مقاومة للبرد (الرشح) عندما يكونون تحت الضغط، كما أنهم يلاحظون ايضا أن انفعال مرضاهم بكثرة يؤثر بقوة على قابليتهم للشفاء

بجانب وجهة النظر التي طرحتها نتائج الدراسات التي تقدمت، هناك وجهة نظر أخرى، ترى أن الضغوط ليست متساوية في أثرها السلبي على الافراد، فهي مؤذية لافراد معينين أكثر من غيرهم وقسم الباحثون الافراد بالنسبة لمدى تأثرهم بالضغط النفسي إلى ثلاث مجموعات، الأولى وهي الاكثرية، حيث يكون تأثير الضغوط عليها بصورة متوسطة، أما المجموعة الثانية وأطلق عليها نمط الشخصية (A) ويكون الفرد من هذا النمط أكثر تحسسا للضغوط، ويتصف بكونه سريع الانفعال كثير التهيج دائم التنافس مع الأخرين ويتصف باندفاع عال وطموح زائد ويقحم نفسه في أكبر عدد من الفعاليات في وقت واحد وينجز اعماله بأقصى سرعة يستطيعها، وعنده إحساس متزايد بالحاجة للوقت أما النوع الثالث أو ما يسمى بنمط الشخصية (B) فله صفات معاكسة لما عند النمط (A)، حيث يتصف بكونه مسترخيا سهل التعامل معه لاينفد صبره بسرعة والوقت لديه أكثر متعة ويعمل باعتدال وأقل منافسة مع الآخرين واكدت الدراسات التي تناولت أثر الضغوط على نمط الشخصية أن نسبة الإصابة بأمراض القلب التاجية بين الافراد من نمط الشخصية (A) يبلغ ضعف ما هو موجود بين الأفراد من نمط الشخصية (B).

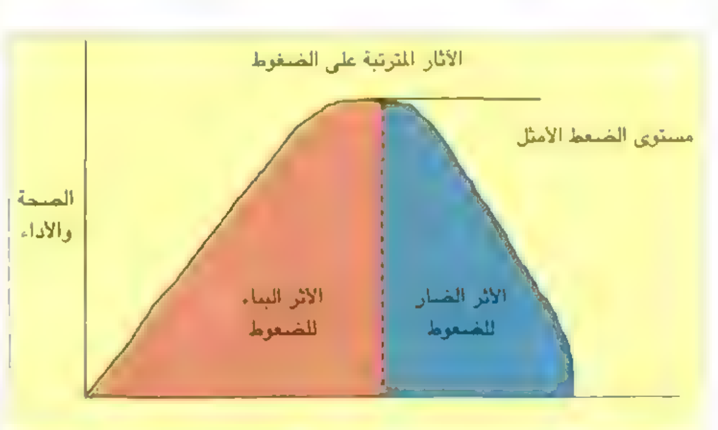
وهناك وجهة نظر اخرى ترى وجود بعض الجوانب الإيجابية التي تعود على الفرد نتيجة تعرضه للضغوط فهي تعطي نكهة لحياتنا لأنها كما يقال توقظنا باستمرار وتجعلنا نحيا، كما أنها تعمل في بعض الأحيان عمل أمصال التلقيح فالتعرض لمستويات بسيطة أو متوسطة من الضغوط تؤدي إلى أن يكون الكائن أكثر قدرة على مواجهة ضغوط أكبر. وفي إحدى الدراسات ظهر أن صغار الحيوانات التي جرى تعريضها لصدمات كهربائية أظهرت قدرة أكبر على التكيف للمواقف الضاغطة من أقرانها الذين لم يتعرضوا لمثل هذه الصدمات



وفي الدراسات التي تناولت المرضى الذين أجريت لهم عمليات جراحية، والذين مروا بخبرة ضغط خلال فترة العملية، كانوا متكيفين مع الضغط الشديد للعلاج بعد العملية الجراحية

ويبدو أن الفرد في أحيان يبحث عن المواقف الضاغطة لينمي قدرته، وهذا واضح في الكثير من انماط السلوك اليومي، فركوب قطارات الألعاب (Rolor Coster) يولد خبرة شعورية بالتهديد، وهذا ما يجعل الكثير من الناس تبحث عنه وتدفع النقود ليكونوا في مثل هذا الموقف أو تحت هذا الضغط، والذين يشتركون في سباق السيارات وسباق المارثون، كل هؤلاء يمتحنون قدراتهم وقابلياتهم ويجدون لذة بجانب الضغط الشديد الذي يتعرضون له

وهناك وجهة نظر أخرى تميز بين الضغوط البناءة والضغوط الهدامة، فليس كل الضغوط مثيرة للقلق، وإنه من الممكن أن تكون أثار الضغوط ايجابية وتشكل قوة دافعة، فكلما زاد الضغط تتحسن صحة الفرد وأداؤه، حتى يصل إلى نقطة معينة هي الحد الأمثل أو المستوى الأمثل للضغط، وإذا استمر بعدها يصبح ضاراً للفرد، وأن النقطة التي تعد الحد الفاصل تمثل قدرة الفرد على احتمال الضغط كما في الشكل الآتي:



ولكننا نعرف أن كل موقف ضاغط يستثير القدرة التكيفية للجسم، ومهما كان شكل الضغط سلبياً أو ايجابياً فإن استمراره سوف يؤدي إلى استنزاف هذه القدرة وبالتالي يكون الجسم عرضة للأضطرابات والمرض، ومما تجدر ملاحظته أن هذه الاضطرابات أو الامراض لاتكون مصاحبة لكل موقف ضاغط، وإنما الأثر هو عملية تراكمية، تظهر أعراضه عندما تتجمع الاحداث على مدى زمن طويل وتؤدي إلى الأصابة وقد يقوم أحد هذه الضغوط البسيطة بدور القشة التي تقصم ظهر البعير

وسائل تخفيف أثر ضغوط الحياة :

السؤال هو كيف نستطيع أن نتجنب الضغط والانفعال والأمراض الجسمية الناتجة عنه، بحيث نستمتع بحياة يتخللها اقل ما يمكن من التوتر والضيق؟ والجواب هو أن نحصل على توازن الي يعادل بين فترات عمل الجهاز السمبثاوي عند فعاليات الهرب او القتال مع فترات عمل الجهاز الباراسمبثاوي في الراحة والاسترخاء والوعي. وللوصول إلى هذا الهدف هناك عدد من العوامل نستطيع من خلالها تقليل آثار الضغوط، وهي تتغير حسب الدور الذي يلعبه الفرد في المجالات المختلفة ففي العمل – على سبيل المثال – لابد للفرد من اتقان مهارة تتناسب وقدراته والرضا عن العمل الذي يقوم به والولاء له والتمتع به، كما لابد له من السعي إلى الاستقلالية والقوة وهناك أمر آخر مهم وهو الأسناد الأجتماعي، سواء كان من خلال الزملاء في العمل أو من الأسرة أو الأصدقاء. كل ذلك يخفف من آثار الضغوط ويضعها في أدنى حد ممكن.

وبمعنى آخر فإذا ما تم تقييم الحدث من قبل الدماغ على انه خطر، فإن هذا سوف يؤدي إلى استثارة الأستجابة التكيفية لتأخذ دورها فإذا كان الفرد ذو قوة كافية وشخصية مناسبة، تعلم مواجهة الضغوط والتصرف مع الأحداث الضاغطة بكفاءة بحيث يقلل من ضرر الاستجابة التكيفية، وعكس ذلك صحيح، فإذا لم يتعلم الفرد الأستجابات المناسبة للتصرف السليم معتمداً على تأجيل مشاكله او الانسحاب منها، مبقياً مصادر الضغط قائمة على الدوام فإنه يفشل في إبطاء عمل التكيف العام وتستمر ردود الفعل الأنذارية مما يؤدي إلى دخول الفرد باستمرار في مرحلة الاستنزاف

إن خلق عالم شخصي منظم يتمتع بالثبات النسبي يشعر فيه الفرد بالراحة، يقلّل إلى حد كبير من كمية الضغوط التي يجابهها، وتجعل الإنسان يستثمر طاقته الحيوية في أمور ترتقي شخصيته إلى الأحسن، كما أن معرفتنا بطبيعة الضغوط وكيفية تأثيرها فينا، توفر لنا قدرة للسيطرة على الآثار الناجمة عنها

إن الجسم ليس هو الوسيلة الوحيدة التي تظهر من خلالها المعلومات عن آثار الضغوط، فقد يكون السلوك والمشاعر مؤشرات أخرى تعبر عن معاناتنا من هذه الآثار، فخلال مرحلة رد الفعل الأنذاري ومرحلة المقاومة يظهر عدد من السلوكيات التي تشير إلى ذلك، ولعل من الأساليب الشائعة للتكيف غير الفعال الذي يلجأ إليه الناس عندما يكونون تحت الضغط، هو التدخين وكثرة الاكل او السير بسرعة والتكلم بسرعة وحتى التنفس بسرعة ■

المراجع :

1. Cary. L. Current Concerns In Occeptional Stress, 1980.
2. Everly. J. & other, The nature and Treatment of the Stress Response, 1980.
3. Gilmer. B. Applied Psychology, 1975.
4. Schultz, D. Psychology and Industry. 1980.
5. Selye, H. The Stress of Life, 1956

ماوراء الروايـــة

المفهوم والمدلولات

حين استهل الروائي الانكليزي المعاصر جون فاولز الفصل الثالث عشر من روايته الموسومة «عشيقة الضابط الفرنسي» بتلك الفقرة اللافتة للانتباه، فإنه بذلك يكون قد توغل الى جوهر الموضوع الذي تتناوله هذه المقالة.

تقول تلك الفقرة: «لست أدري. أن القصة التي أرويها كلها محض خيال. فالشخصيات التي أشكلها لم تكن موجودة خارج ذهني. فإذا ادعيت حتى هذه اللحظة بأني أعرف مايدور في أذهان شخصياتي وأفكارها، فمرد ذلك أني أكتب طبقا لعُرف أدبي.. مقبول عالميا في زمن كتابة قصتي قوامه إن الروائي مبدع خلاّق.. لعله لايعرف كل شيء، إلا أنه يتظاهر بمعرفة كل شيء لكنني أعيش في عصر روب غرييه ورولان بارت. إذا كانت هذه رواية فعلا فإنها لايمكن أن تكون رواية بالمعنى الحديث للكلمة».

لاريب أن هذا المقتطف من الرواية يمثل خلاصة السؤال الإشكالي الذي يواجه الروائي، أو أي فنان جاد فهو يسلط الضوء على مأزق الكاتب، أعني عدم قدرته على المزاوجة بين قطبين متنافرين – عصر التناحر ودور المؤلف الآخذ بالانحسار بل حتى «موته» من جهة، والقوالب والصيغ «الواقعية» السائدة من جهة أخرى هنا يواجه فاولز مشكلته كمبدع ويتصدى للاسئلة الاساسية لصنعته، فهل يتعين عليه أن يكون أمينا لهذه القوالب والصيغ؟ هل يلتزم باشتراطات العُرف الأدبي بصرف النظر عن درجة جموده واشكاليته؟ أهناك حل وسط بين تلبية مطالب النقاد والقراء والالتزام التام برؤاه الذاتية؟

إن إحدى المسلّمات التي تطالع المتتبع لشؤون الأدب هي أن الرواية تعد جنسا جديداً نسبيا بالمقارنة مع الدراما والشعر. وأوجه الجدّة في الرواية ليست مسألة زمنية فحسب، بل هي أيضا شكلية وموضوعية، فكلمة رواية توحي بكل ماهو متميز وأصيل. إن هذه التصورات هي التي تحمل الروائي الانكليزي لورنس على الادعاء، الذي لايخلو من نرجسية وغلو حين يقول انه «أعلى منزلة من العالم والفيلسوف والشاعر» وإن الرواية هي الكتاب النيّر الوحيد في الحياة» وقداثبتت الرواية طيلة ثلاثة قرون من عمرها بأنها فن التغييرات المستمرة، والثراء الذي لاينضب والمرونة الفائقة ومع ذلك فإنها بالنسبة لبعض الروائيين المبدعين مدعاة للإحباط بمعنى انه يخفق في كثير من الأحيان في بلورة تلك الأفكار التي تزخر بها ذاكرة الكاتب المبدع

وهذه الناحية يجدها الناقد جوسيبوفيش عند الروائي الفرنسي بروست، اذ أن الرواية بالنسبة لكاتب من طراز بروتس «هي سجل الاحباطات المتتالية. والاكتشاف التدريجي بأن العالم لايتوافق مع التصورات الذاتية. ومع ذلك تبقى الرواية سجلاً لروائع الخيال». وأيا كان الأمر، فإن تعبير «ماوراء الرواية» Metafiction هو أحد المصطلحات الفنية التي ظهرت في القرن العشرين الذي تميز باهتمامه بعلم اللغة وتتالت فيما بعد مصطلحات «ماوراء اللغة» Metalanguge، فهناك حديث كثير حول «ماوراء الدراما» و «ماوراء التاريخ» و «ماوراء النقد»

والمفردة تستند الى الكشوفات في مجال علم اللغة الحديث وكذلك في النقد البنيوي والأستخدام المحدد للمفردة غير مستقر تماما. فالناقد الأمريكي كيرنان يستخدمها في العرض الشامل الذى يقدمة عن الروائيين الأمريكيين، بوصفها عنوانا فرعيا يشير إلى مجموعة من الكتاب ذوي نزعات تجريبية. أما الرواية التجريبية أو الطليعية في فرنسا التي روجها كلود سيمون وروب غرييه وميشيل بوتور وساروت التي ظهرت عشية الحرب العالمية

الثانية فتسمى «الرواية المضادة Anti-novel او «الرواية الجديدة»

وكما أسلفت فان ظهور المصطلح يتصل بالتطورات الهائلة في علم اللغة. إذ أن «ماوراء اللغة» تعني اساساً أحد أشكال اللغة المخصصة لوصف وشرح لغة أخرى ، أي اللغة الهدف.

إن المعنى اللغوي الضمني هو الذي يشكل المرتكز او المحور الذي تستند اليه هذه التيارات . لكن لماذا هذا التركيز الشديد على اللغة ذاتها بوصفها الهدف او الغاية؟ من المعلوم أن منطلق الحركات الحديثة في الفن والنقد هو المفهوم البنيوي الذي يؤكد بأن «الادب لايعدو كونه لغة، بمعنى أنه نظام من العلامات ولايعتمد كيانه على الرسالة أو الشفرة، بل النظام » وهنا لابد من الاشارة الى حقيقة مفادها إنه في أوائل القرن العشرين كان رائد النقد الشكلاني أو النقد الجديد ريتشاردز قد دعا الى تقليص الفجوة بين الشكل والمضمون، أو الطريقة والفكرة أو الغائها.

والسؤال الجوهري الذي يواجهنا في هذا الشأن هو أي نوع من الكتابة أو الرواية تمثله «ماوراء الرواية»؟ ما الذي يميزها عن أنماط الكتابة الروائية الأخرى؟ من الضروري أن نؤكد أن ماوراء الرواية تستبقي ، باستثناء اعمال بيكيت الروائية ، بعض العناصر التقليدية في العمل الروائي مثل التشخيص والتعاقب الزمني والحبكة.. الخ ، بعبارة أخرى ان ماوراء الرواية تنطوي على تلك العناصر التي تنفر منها الروائية الانكليزية فرجينيا وولف. بيد أن التعامل مع هذه العناصر مغاير تماماً. كما اشرت آنفا، فاللغة تشكل حجر الزاوية في هذا الضرب من العمل الروائي، أي فاعليتها أو عدم قدرتها على الابلاغ تمثل موضوعا جديدا، بل موضوعا كبيراً. والى جانب هذا ، فان ماوراء الرواية تتطرق الى آليتها وكيفية عملها وأشكاليتها داخل المتن الروائي. بل لاتتورع عن الاشارة الى حسنات أو مساوئ العمل الروائي ذاته . فعلى سبيل المثال لاالحصر تعد رواية جون فاولز «المجوسي» (١٩٦٦م) The Magus نموذجا حياً لهذا النمط من الكتابة. ففي إحدى لحظات التشويق في الرواية حيث يبلغ اهتمام القارئ أشده يجعل فاولز الشخصية المحورية، المجوسي الذي يحمله العنوان ، يتوقف قليلا ليطلق الحكم التالي على الرواية:

«الرواية ميتة، ميتة مثل الكيمياء لسبب بسيط هو ماالذي يجعل الروائي يكابد طيلة مئات من الصفحات من التلفيق ليتوصل الى نصف دزينة من الحقائق الصغيرة جداً.. إن العمل الروائي هوأسوأ أنواع الابلاغ».

إن ثلاثية صمونيل بيكيت تمثل حالة خاصة في تاريخ الفن الروائي لكونها تتناول الموضوعات الشائكة في ماوراء الرواية وهي طبيعة القصة والواقع ومشكلة اللغة والكتابة بيد أنها تخفض الأدوات اللغوية المعتادة الى أبعد حد ممكن حتى نصل الى الجزء الثالث المعنون «اللامسمى» The Unnamable لتتحول بالتالي الى نجوى طويلة جداً تبتعد كليا عن المبادئ التي دأبت عليها الرواية لحد الآن. ومن الاسئلة التي تثيرها هذه الرواية ، إن كان يجوز لنا تسميتها كذلك، هي لماذا يتعين عليه أن يكتب روايات ؟ ولمن؟ وهل هو صادق مع نفسه أم يحاول أن يداهن قراءه؟ يقول في الجزء الثالث «اللامسمى»:

«إني دائماً أنسى بأني استأنف ، لابد من أن استأنف، لم أتحرك من هنا مطلقا، ولم أكف عن رواية القصص لنفسي، التي بالكاد أسمعها ، أو إني اسمع شيئا آخر ، بل استمع الى اشياء اخرى وأتساءل بين الحين والآخر عن مصدرها وبأني هل عشت فعلا في عالم الأحياء ام أنهم عاشوا في عالمي واين اختزنتها؟»

هناك رواية الكاتب الامريكي جون بارت «قصة حياة» Life Story التي تشير مرة أخرى الى ضرورةإعادة ترتيب جميع أنواع العلاقات سواء مع مادته القصصية أو قرائه . ثمة صوت في هذا الرواية يملي الشروط التالية.

* ينبغي على القاص أن يعترف بالجانب المتخيل فيه
* أو يختار أن يتحاشى السؤال وينفي صلته بالموضوع
* أو يحدد نوعاً من علاقة قبول أخرى بينه وبين قرائه.

ويشترك الروائي الارجنتيني بورخس Borges مع بعض من ورد ذكرهم آنفا في عوالمهم الرؤيوية وتهويماتهم، ففي معرض تحليله لألف ليلة وليلة، نجده يتحدث عن امكان قلب العلاقة التقليدية بين المؤلف وقارئه رأسا على عقب. وهنا يتبادر الى ذهنه السؤال التالي الذي يثير موضوع المؤلف والنص والعلاقة بين الأثنين:

«لم نشعر بعدم الارتياح حين نعرف بأن الف ليلة وليلة هي ضمن كتاب الف ليلة وليلة، يخيل الي بأني عثرت على الجواب، اذ توحي هذه التصورات المعكوسة بأنه إذا كانت

الشخصيات في قصة معينة يمكن أن تصبح قراء أو متفرجين، فانني أقصد بذلك قراءها أو متلقيها يمكن ان يكونوا متخيّلين».

ولايكتفي بورخس باخبارنا عن افكاره المتعلقة بهذه العلاقة الغامضة بين المؤلف وقارئه، بل يجسدها عمليا في واحدة من قصصه القصيرة الطريفة حيث يغور في ذاته والدوافع الكامنة وراء الكتابة التي غالباً لاتخضع للمنطق. إن قصة «بورخس وأنا» تحفل بهذا الموضوع وهي قصة تؤكد على أن بورخس هو الآخر ساهم في بلورة مفهوم ماوراء الرواية:

« إن الأشياء تحدث للرجل الآخر، بورخس. وأتمشى في شوارع بوينس ايريس وأتوقف من حين لآخر وانظر الى قوس المدخل العتيق أو بوابة منحنية.. أسمح لنفسي أن أعيش لكي يستطيع بورخس ان يدبج قصائده وحكاياته وان تلك الحكايات هي مبرر وجودي. فقبل عدة سنوات حاولت ان أخلص نفسي منه واتجهت بدءاً من أساطير خاصة بالأحياء الفقيرة في المدينة، الى الألعاب الخاصة بالزمن والأبدية، بيد ان هذه الالعاب هي الآن جزء من بورخس واني سأضطر إلى أن أتوجه إلى أشياء أخرى. وهكذا فان حياتي باتت نوعاً من الهروب واني أخسر كل شيء، كل شيء معرض للضياع أو يصبح ملك الرجل الآخر.

ولست أدري مَنْ منا يكتب هذه الصفحة».

حتى وليم غولدنغ المعروف بكتاباته ذات المنحى الرمزي مثل «لورد الذباب» (١٩٥٤)و «الورقة» (١٩٥٥م) لم يتخلص كلياً من اثر هذا الضرب من الكتابة. ففي الرواية المعنونة «رجال الورق» The Paper Men يقترب كثيراً من منطلقات ماوراء الرواية. فالموضوع الرئيس في هذه الرواية هو العلاقة المتبادلة بين الكاتب المبدع (الروائي باركلي) والناقد الاكاديمي (توكر) فعلى الرغم من أن كليهما من ورق، فإن نشاط الثاني (النقد) من المكن ان يلحق ضرراً بالغاً بنشاط الأول، وهكذا فان الكتاب برمته يعد تعليقا ساخراً حول عملية بالغة التعقيد. وكذا الحال بالنسبة لرواية لودج المعنونة «عمل لطيف» (١٩٨٨م) التي تتناول عملية الكتابة واشتراطاتها والمؤثرات عليها. وقد اشار الناقد البنيوي مالكوم برادبري الى هذا التداخل بين أنشطة الابداع والنقد حين قال ان «بعض نقدنا قد أصبح ادباً حيث يرد على ماوراء الرواية بما هو نوع من وراء النقد»

ثمة سمة أخرى وراء الرواية هي أنها تسعى الى إعادة تحديد العلاقة بين القصّ والواقع بصرف النظر عن ردود الفعل السلبية والعكسية المترتبة على موقف من هذا القبيل. فعلى سبيل المثال هناك حاجة متعاظمة لمراجعة وإعادة النظر في «النهاية السعيدة» التي يحبذها القارئ وهنا يعيد البروفسور كيرمود الى الأذهان الحقيقية التي قوامها ان تاريخ القصة لايعدو كونه «تفاعلاً من الآراء المتضادة بين التصديق والنزعة الشكوكية، بين مانريده نحن وما هو حتمي.

لقد أثار ظهور ماوراء الرواية ردود فعل متضاربة واختلف النقاد بشأنها ومدلولاتها. إذ يرى بعضهم ان هذه إشارة الى حيوية هذا الجنس الادبي وقدرته على مواكبة المتغيرات المعرفية وكذلك قدرته على توظيف أي شيء في حوزته بما في ذلك اليته وطرق عمله كموضوع يستقطب اهتمام القارئ. ومن هؤلاء الناقد كلمكويتز Klimkowitz الذي يرى ان «الانقطاعات» في التقليد الروائي نوع من التجديد وليس علامة ضعف

كذلك يحاجج الناقد اللغوي ليتش Leechبان ظهور ماوراء الرواية يُعد ثمرة طبيعية ومتوقعة بالنسبة لتطوير الفن القصصي، فهو مانفك يردد بأن الأبداع الحق يستلزم تغيير البنى والقواعد والتقاليد الجامدة.

بالمقابل تعرضت ماوراء الرواية الى حملة عنيفة من بعض النقاد، بل عبّر العديد منهم عن قدر كبير من التشاؤم بخصوص قدرة هذا الفن على المقاومة والديمومة. وقد وجد بعضهم هذه التجارب والتجديد في القوالب الروائية دلالة على موتها. ففي دراسته البنيوية عن الرواية التي نشرت في الآونة الأخيرة، يؤكد الناقد برادبري بان «الرواية ميتة قبل هذا الحين» كذلك يرى الناقد فيدلر بأن موت الرواية يعد نتيجة حتمية لسلسلة طويلة من التشظي والتهشيم التي دأبت عليها الرواية مثل «رواية الخيال العلمي» و «الويسترن» و «القصص البوليسية» وما الى ذلك. ويخلص الى القول بأنه « حين تموت الرواية فانها لاتخلف وراءها فراغاً، بل حشداً كبيراً من الأجناس الأدبية الفرعية المتضاربة، يسعى كل منها الى تأكيد موقعه». وهذا الرأى الأخير يتبناه كتّاب ومفكرون أخرون امثال سوزان سونتاغ ونورمان ميلر

لكن يبقى السؤال الجوهري: هل ظهور ماوراء الرواية أحد بدع القرن العشرين وابتكاراته؟ ان الحقيقة

التي ينبغي ألا تغيب عن الذهن هي أن البحث عن التجديد والابتكار صنو الرواية وقرينها وإن اتخذ عدة أوجه وعناوين. إن البحث عن مادة جديدة للعمل القصصي مستمدة من آلية ذاتها يُعد محاولة لملء الفراغ الذي نجم عن قصور النمط السائد وعدم قدرته على تلبية ماهو مطلوب منه.

إن نظرة سريعة للشواهد البارزة في فن القصة تؤكد بالضرورة الفكرة القائلة بأن ما وراء الرواية هي ببساطة شديدة امتداد لسمة عامة واكبت الرواية منذ ظهورها. ولابد من التنويه بالرأي القائل بأن ظهور الرواية يرتبط بالواقع والموقف نحوها، نظرا لأن الرواية ترفض أن تسلم بأن العالم الحقيقي كاف تماماً، لذلك فإن ماوراء الرواية يعد رد فعل آخر يطالب بتوسيع آفاق وحدود الجنس الادبي. وتاريخ الرواية مليء بالنماذج التي تدل على أن العمل الروائي يرفض التقوقع ضمن قوالب جامدة أو أطر ضيقة. اذ أن أحد رواد الرواية ومؤسسيها وأعني به «هنري فيلدنج» ما انفك يتحدث عن القارئ والكتابة والنقد والعلاقة بين الكاتب والواقع، ويثير هذه الأسئلة ضمن المتن الروائي ذاته. ففي أحد استطراداته المعروفة، يذكر في رواية «توم جونز» مايلي:

«إن الناقد بالمعنى الصحيح للكلمة لا يعدو كونه موظفا بسيطا يقتصر دوره على نسخ القوانين والقواعد التي تملى عليه من قبل أصحاب العبقرية الكبار».

واذا انتقلنا من بدايات الرواية الى القرن العشرين خاصة في العقود الأولى لوجدنا أن الامر لايختلف كثيرا في هذا الشأن، فعلى سبيل المثال يقدم لنا اندريه جيد في «مزيفو النقود» رواية تجريبية مكرسة هي الأخرى لسير عملية الكتابة واشكاليتها. والشخصية المحورية هنا إدوارد روائي يضطلع بدورين مستقلين، راوي الاحداث ومشارك فاعل في مسارها. والحدث الرئيس الذي يشكل جوهر رواية جيد هو الخطة الشريرة التي تحيكها عصابة من مزيفي النقود للايقاع بأطفال ينتسبون الى عائلة عريقة. ويستفيض الكاتب شارحاً الكيفية التي يقوم بها مزيفو النقود بخداع الاطفال، الى جانب الافكار العديدة الخاصة بالروائي إدوارد، كما انها تكرس جلّ اهتمامها لموضوع الخلق الفني أو الكتابة Ecriture حسب المفهوم البنيوي.

إذن لايقتصر التطرق لآليات العمل الروائي وفنه وموجّهاته على ماوراء الرواية التي تطالعنا في الأدب الغربي لما بعد الحرب العالمية الثانية، بل هو جزء لايتجزأ من تاريخ هذا الفن الادبي، لكن ماهي مساوئ هذا النوع من الكتابة؟ في سعيها الى التوصل الى نوع من المبدأ الخاص بالكتابة، إن الروايات التي ورد ذكرها آنفاً وغيرها الكثير، تعاني من جملة عيوب لايمكن التغاضي عنها. والجدير بالذكر ان كتّاب ماوراء الرواية معنيون بالغموض من أجل الغموض، وبذلك يكون القارئ آخر مَنْ يتذكره هؤلاء الكتّاب. إن ثلاثية بيكيت الروائية وكذلك رواية غرييه «المتلصص» Le Voyeur (١٩٥٥م) تجعلان عملية القراءة ليست شيئاً هيناً. كذلك إن الاحتفاء الزائد باللغة من شأنه أن يجعل العمل الروائي على المدى البعيد، نشاطا فنويا مقتصراً على نخبة معينة ويبتعد عن أي شيء خارج عالمه المحدود، أي أنها لاتخدم غرضاً جديراً بالعناء. وكما يقول الناقد هولوي فإن «الأدب المعني باللغة.. يترك في آخر المطاف احساساً معيناً بالخواء، وهامشية فيما يتعلق بالقيم». ونظرة سريعة إلى رواية «المجوسي» تؤكد مصداقية هذا القول. إذ يتحول هذا الكتاب الضخم الى منبر لطرح أفكار المؤلف ويتم ذلك في بعض الأحيان على حساب عالم الشخصيات واستقلاليتهم. ومثل هذه الالعاب اللغوية تطغى على مجموعة فاولز القصصية «برج الأبنوس» (١٩٧٤م)، لاسيما القصة التي تحمل عنوان المجموعة حيث يتم التركيز على مملكة الفن الغامضة النخبوية.

وأخيرا فإن تحطيم الإيهام القصصي لايخلو من محاذير ومنزلقات، اذ ان تدخلات المؤلف المستمرة من شأنها أن تصبح مصدر تنغيص بالنسبة للقارئ. بل أحيانا يستبد بالقارئ شعور بأن المؤلف متعالٍ ويتعمد التضبيب في غير محله. أرى أن أورد مقتطفا من مجموعة جون بارث «ضائع في المسخرة» التي أجد فيها خير تعبير عن نظرة التعالي التي تتسم بها احيانا علاقة المؤلف بقارئه.

«أيها القارئ المدمن على المادة المكتوبة الذي لايشبع نهمك أي شيء، أنت مَنْ أخاطب، فهل هناك شخص آخر أخاطبه من داخل هذه القصة المرعبة؟ فهل مضيت بالقراءة حتى هذا الحد؟ ما الذي يدفعك الى عدم الذهاب الى دور السينما أو مشاهدة التلفزيون أو تأمل جدار أو لعب كرة المنضدة مع أحد الأصدقاء، أليس بمقدور أي شيء أن يشبع نهمك؟» ■

مراجع مختارة :

1. John Fowles: The French Lieutenant's Woman.
2. Roland Barthes: "The Death of the Author".
3. Roland Barthes: "Criticism as language.
4. *John Fowles: The Magus (1966).*
5. Samuel Beckett: Molloy (1950) Malone Dies (1956) The Unnamable (1959). Picador edn. 1979, P. 380.
6. Jorge Luis Borges: The Aleph and Other Stories, 1969.
7. Malcolm Bradbury: No. Not Bloomsbury, 1987.
8. Andre Gide: The Counterfeiters. The Main Library, 1927, P. 165.
9. John Barth: Lost in the Funhouse, Fiction for Point Tape, Live Voice, 1969.
10. I. A. Richards, The Philosophy of Rhentoric, London, Oxford, 1936.



أخطاء لغويّة شائعة

بقلم : قطب الريسوني - المغرب

* * زخّة من المطر :

يقولون «زخّة من المطر» وهذا خطأ والصواب «دفقة من المطر» أو «شؤبوب من المطر» وقد ذهب نفر من اللغويين المحدثين إلى القول بأن كلمة «زخّة» محرفة عن مصدر المرة «سحّة» والفعل «زخّ المطر» أي سال وانهمر.

ويمكن أن نحصر المعاني اللغوية التي يفيدها الفعل «زخّ» فيما يلي :

١ - زخّه : أوقعه. ٢ - زخّه في قفاه : دفعه.

٣ - زخّ فلان : أ - اغتاظ. ب - حسد. ج - قفز. د - هرول في السير.

٤ - زخّ في الحفر : أوغل فيه.

* * زفّ فلان على فلانة :

يقولون «زفّ فلان على فلانة»، فيعدون الفعل «زفّ» بحرف الجر «على» كأنهم يقيسونه على الفعل «جلا» إذ يقال «جلا العروس على زوجها» أي عرضها مجلوة، والصواب أن يعدى الفعل «زفّ» بـ «إلى» فنقول «زفّت فلانة إلى فلان»، وقد ورد في لسان العرب لابن منظور «زفت العروس إلى زوجها أزفّها زفاً وزفافاً وأزففتها وأزدففتها : أهديتها إلى زوجها» ويمكن أن نجمل المعاني اللغوية للفعل «زف» فيما يلي :

١ - زفّ الطائر : بسط جناحيه. ٢ - زفّت الريح : دوت وهبّت. ٣ - زفّ البرق : أضاء ولمع.

٤ - زفّ : أسرع وغذّ في السير، و قد ورد في قوله تعالى : في «الآية ٩٤» من سورة الصافات «فأقبلوا إليه يزفّون» أي يُغذّون في السير.

* * متزمّت في طبعه :

يقولون «فلان متزمّت في طبعه» وهذا خطأ والصواب «فلان متشدّد في طبعه» لأن معنى «المتزمّت» في المعجمات الموثّقة هو «الرزين الوقور» وقد جاءت في المعجم الوسيط «تزمت : تشدد في دينه أو رأيه» وقيل أنها مولد.

* * لازال المرض منتشراً :

يقولون «لازال المرض منتشراً» وهذا خطأ والصواب «مازال المرض منتشراً» ذلك أن استعمال «لا» عوض «ما» يفسد المعنى فساداً واضحاً، وبعبارة أوضح وأدق، يحول الجملة من مضمونها الخبري إلى مضمونها الإنشائي. فقولنا «مازال المرض منتشراً» جملة تفيد الاستمرارية، أي استمرار انتشار المرض. فالجملة لذلك خبرية تفيد وقوع الخبر، أما إذا استعضنا عن الأداة «ما» بالأداة «لا»، وقلنا «لازال المرض منتشراً» فإن مضمون الجملة ينقلب من الخبر إلى الإنشاء.

وصفوة القول أن أفعال الاستمرار الماضية لايسوغ نفيها إلا بالأداة «ما» فنقول «مازال عليلاً» و «وما انفك عليلاً» و«ما فتئ عليلاً» و «ما برح عليلاً»، ومن ثم لايصح لنا القول «ما خرج فلان». أما إذا قلنا «لاخرج فلان» فإن المنطق النحوي والتركيبي يقتضي تكرار الأداة «لا» فنقول «لاخرج فلان ولا دخل». وقد اجاز جمهور النحاة استعمال «لا» دون تكرار في حالة الدعاء، و في حالة الرجاء كقولنا «لا حرمت من ثمرة غرسك».

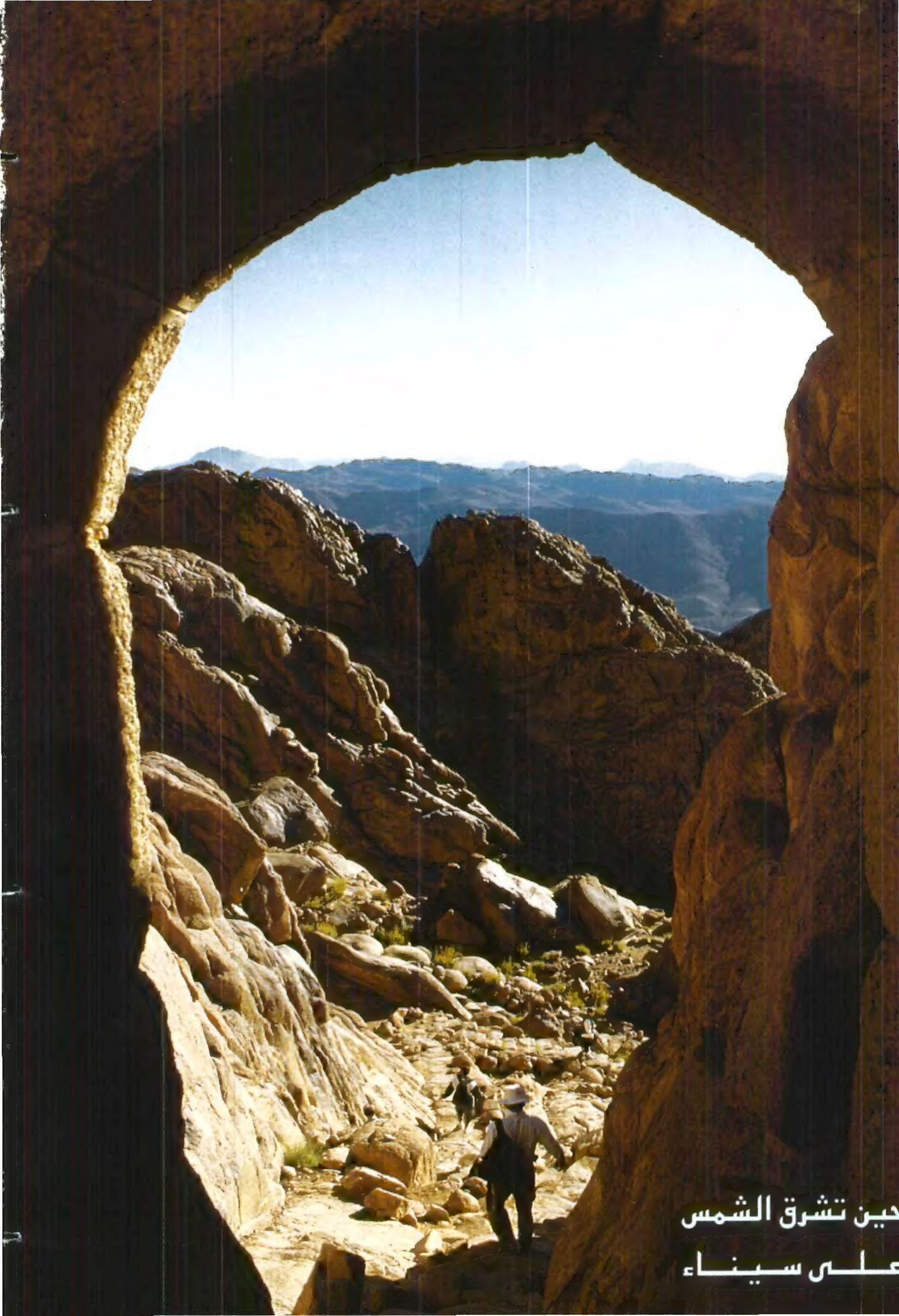
* * زاد عنه :

يقولون «زاد عنه في العلم والأدب» وهذا خطأ والصواب «زاد عليه في العلم والأدب». وقد روي عن الشاعر ذي الأصبع العدواني:

وأنتمُ معشرٌ زيدٌ على مائة فاجمعوا أمركم طُرّاً فكيدوني



من أعمال الفنانة السعودية بدرية الناصر


حين تشرق الشمس
على سيناء